

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يفتق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

ساحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها الشئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع اليدول رقم ٣٢

طابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ١١٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ رجب سنة ١٣٥٤ - ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

خزائن الكتب في القاهرة

على ذكر الخزائن الزكية

للدكتور عبد الوهاب عزام

قرأت في إحدى الجرائد أن وزارة المعارف عرفت على نقل
الخزانة الزكية - مكتبة أحمد زكي بإشرافه الله - من مكانها
في قبة النوري إلى دار الكتب العامة . ويرحم الله زكي باشا ؛
لو كان حياً لصال بلسانه وقلبه ، وملأ الدنيا حجاجاً ، وشغل
رجال الحكومة بزيارته وأحاديثه ، ليدافع عن كتبه الدزيرة
عليه التي أنفق عمره في جمعها ، وأقامها مقام الأولاد فنحما
فكره وقلبه ، فيمنعها أن تنقل من مكانها الذي اختاره في قبة
السلطان النوري . وكان رحمه الله معجياً بالنوري إعجاباً طوي
ما بينهما من عصور ، فكان إذا تحدث عنه قال : « صديق
السلطان النوري » . لكن شيخ العروبة الذي كان نشاطاً
لا يفتقر ، وحركة لا تسكن ، وعملاً لا يعمل ؛ قد طواه الزدى ،
فأصبحت « الخزانة الزكية » الخزانة اليتيمة

ومن قبل نقلت إلى دار الكتب الخزانة النعمورية التي جمعها
من أقطار الأرض العلامة النقي أحمد تيمور بإشرافه الله ؛

فهرس العدد

ملحة	
١٦٤١	خزائن الكتب في القاهرة : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٦٤٣	الجمال البائس ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٦٤٦	فقدان الثقة ... : الأستاذ أحمد أمين
١٦٤٨	افتتاح إفرنجية ... : مؤرخ كبير
١٦٥١	الشعر الأموي ... : أحمد حسن الزيات
١٦٥٤	صور ممشية سوداء ... : الأستاذ علي الطنطاوي
١٦٥٦	أبو الهناء ... : محمود محمود خليل
١٦٥٨	الكتابات النبية في { : خيرى حماد
١٦٦٠	شعر شكير ... : الأستاذ بشير الصريق
١٦٦٣	كتب ابن المقفع ... : الأستاذ عبد الصالح المصدي
١٦٦٦	أبو الناجية ... : الأستاذ جيل صدق الزماوي
١٦٦٦	أمام للشقة (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
١٦٦٧	سر الحياة : الأستاذ غري أبو السعود
١٦٦٧	يا يكون ! : الأستاذ محمود غنيم
١٦٦٨	مرش الجبال : الأستاذ خليل هندواي
١٦٦٨	تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا ... : الأستاذ خليل هندواي
١٦٧٠	حروب طروادة (قصة) : الأستاذ دوي خيبة
١٦٧٤	وصافة في القضاء ... : الأستاذ محمود السيد
١٦٧٧	حول القراع الأدبي ... : ميشيل غفلق
١٦٧٧	وفاة رسالة كير . حميد للوسيقى الانكليزية
١٦٧٨	مؤتمر لطوخ الطب . ملكة التراجيديا
١٦٧٨	ترشيح التجاني لجائزة نوبل
١٦٧٩	علم الدولة (كتاب) : الدكتور محمد توفيق يونس

المطالع بجدرانها ، وجلبتها ، والتي تقطع عليه فكره بمنابر
الداخلين والخارجين . يود قاسدها أن يحصل أقل ما يريد في
أقصر وقت فيمارع إلى الخروج . ولم ينتظر حتى يظفر
بالكتاب المطلوب ؟

وقد كان في القاهرة خزائن فرقتها يد الزمان - البسراء ،
ولبت بها غيرُ الموهج ، ثم جمعت بقية الأحداث منها في
دار الكتب المصرية ؛ وقد رأينا وزارة الأوقاف إلى عهد قريب
تجمع الكتب من المساجد فتضعها في الخزانة الزكية . لقد
أحسنت الحكومة بما فعلت حينما كانت الكتب عرضة للضياع ،
غير مهيأة للانتفاع ، ولكن الأحوال تغيرت ، ودار الكتب
ضاعت بما فيها ، ونقصت بآثرها . فليتنا أن تتدارك اليوم
ما عجزنا عنه بالأمس ، فنُعمني بتجهيز القاهرة بخزائن الكتب
المختلفة في المحلات المختلفة . ومحتفظ بما في المساجد من الكتب
إن كان لها بقية لنجعلها نواة لمكتبات كبيرة

ولم لا يكون لنا خزانة في الجامع العتيق ، وكان مثابة الدلم
في مصر زمناً طويلاً ؟ ولم لا يكون لنا خزائن في جامع ابن طولون ،
والجامع الأقمر ، وخانقاة سعيد السعداء التي كانت مأوى كبار
العلماء ، ومساجد المؤيد ، وبرقوق ، والسلطان حسن ، وكانت هذه
المساجد معاهد للدرس ، وقد اتخذنا بعضها اليوم مدارس أيضاً ،
فلماذا لا نتخذها معاهد لطالعة الكتب ؟ لماذا لا تنتفع بهذه
الأبنية الواسعة الشاهقة فنُفّر أموالنا ، ونُعرف آثارنا ، ونصل
ماضيها بمحاضرنا ؟ وليت خزائن الكتب تنقسم اليوم فيقصد
الباحثون الجامع العتيق ليقرأوا الفقه والحديث وكل ما كتب
عن الفسطاط ومصر في عهد الفسطاط ، ويذهبون إلى جامع
المؤيد ليقرأوا ما كتب عن الماليك ، ويقصدون خانقاة سعيد
السعداء أو نكية المولوية لقراءة التصوف ، وهم جراً

هذه آراء يلقاها بالاستهزاء الذين خلعوا أنفسهم من تاريخنا
وسننا ، ولكني أرجو أن يكون لها من تفكير المفكرين نصيب
وبعد ، فينبغي أن تبقى الخزانة الزكية في مكانها لبقاء على
السنن الصالحة ، وتيسيراً للقراءة على طلابها ، واحتفاظاً برغبة
صاحب الكتب الذي بذل في جمعها من ماله وعمره ، ولبت
حياته يحنو عليها حنو الأب الشفيق على أولاده . ولا يزال أمام
وزارة المعارف سعة للتفكير والمدول عن الخطأ التي همت به .

عبد الرهاف عزام

وليست هذه سنة رشيدة ؛ ليس سنة رشيدة أن تجمع
الكتب في مكان واحد ، وتحرم القاهرة المزية إلا من مكتبة
واحدة يزدهم فيها القراء من كل قبيل ، ويلتقي فيها الباحث المدقق
الذي يستقصى المخطوطات القديمة ، والقاري الذي يزجي وقته
بقصة ملهية ، ويفد إليها أهل القاهرة من المحلات الدانية والقاصية
لا بد لنا من مكتبة عامة جامعة كدار الكتب ، ولكن
لا بد لنا معها من مكتبات خاصة كالخزانة التيمورية والخزانة
الزكية ، يقصدها الباحثون النقيبون ، ويؤمها خاصة الطالبين ،
فيجدون مكاناً ما كتب يسكنون إليه ويتمارون فيه ، ثم تكون لكل
مكتبة خصائص معروفة تجذب إليها صفاً من الباحثين ؛ ولا بد لنا ،
إلى هذه وهذه من مكتبات محلية ، يستفيد منها أهل كل محلة
في القاهرة ، يحدونها قرية الهم ، ويلفون كتبها ميسرة لهم
كان من سنن الحضارة الإسلامية الاكثار من خزائن
الكتب الكبيرة والصغيرة في كل مدينة ، وكان لكل مسجد
كبير خزانة كتب ، فكانت القراءة ميسورة لكل طالب
في كل حي وفي كل مسجد ، وليس يسمع المجال هنا للحديث
عن خزائن الكتب في المدن الإسلامية القديمة في الشرق
والغرب فهو حديث طويل ، وحسبك أن أبا تمام عوفه
البرد في هذائن فوجد في إحدى خزائنها ما يسرله اختيار
حامته ، وأن ياقوتاً الحموي أقام في مرو الشاهجان فأفاد من
انثني عشرة خزانة بها ، في كل واحدة آلاف المجلدات . وهو
يقول في معجم البلدان : « فكنت أرتع بها ، وأقبس من
فوائدها . وأناسي حبا كل بلد ، وألهاني عن الأهل والولد .
وأكثر فوائدها هذا الكتاب وغيره مما جمعت فهو من تلك
الخزائن » . هذه مرو الشاهجان ، فما ظنك ببغداد والقاهرة
وقرطبة ؟ كانت قرطبة لا تخلو دار كبيرة فيها من خزانة كتب
وكان في الأستانة إلى عهد قريب زهاء أربعين خزانة ، في
كل جامع كبير واحدة ، وكثير منها يُشرف على حدائق ،
وتهدل الأشجار عند منافذها . فليس على القاري الجلوس بها ،
ولا يزججه عن القراءة لئلا ولا جلبه . وقد يجلس المطالع في
مكتبة الفاتح قيود ألا تنتهي القراءة ولا ينتهي الوقت . وقاري
الكتب أحوج الناس إلى المكان النزه الهادي ، يوحى الكينة
إلى نفسه ، ويجمع للمعرفة فكره ، ومحجّب إليه الثابة
والدأب . فإين من هذا دور الكتب الكبيرة المطبقة على

٤ - الجمال البائس

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قلتُ لها : إن قلبي وقلبك يتجاليان في هذه الساعة (١)
ويتباكيان : أدرين ماذا يقول لك قلبي ؟

إنه يقول عني : أعزّزْ عليَّ بأن تكوني ههنا ، وأن
تتألف منك هذه القصة التي تبدأ بالومضة وتنتهي بالاستخذاء
فتنتلقى المرأة في متاليفها ومهاوئها ليلغ بها القدر ما هو بالغ ؛
وليس إلا الضرورة وسطوها بها ، والاذلال وهاتئها ،
والاجتماع ونهكها عليها ، والابتدال واستبدادها إياها . وهما
بات في القصة من معنى فليس فيها معنى الشرف ؛ وهما يكن
من موقف فليس فيها موقف الحياء ؛ وهما يجسّر من كلام
فليس فيها كلمة الزوجة . وأعزّزْ عليَّ بأن أرى المصباح الجميل
الشبوب القى وضع ليضي ما حوله ، قد انقلب فجعل يحرق
ما حوله ؛ وكان يتلأأ ويتوقد ، فأردت يتسمر ويتضرم ويحني
على ما يتصل به وسقط بذلك سقطة حمراء

أقدرين ماذا يقول لي قلبك ؟

إنه يقول عنك : يا يؤسنا من نساء ! لقد وضعنا وضعا
مقلوبا فلا تستقيم الانسانية معنا أبداً ، وكل شيء منقلب لنا
متكسر ، والشفقة علينا تنقلب من لقاء نفسها نكها بنا ،
فنبكي من شفقة بعض الناس كما نبكي من ازدراء بعض الناس .
يا يؤسنا من نساء !

قالت : صدقت ، وكذلك تنقلب أسباب الحياة معنا أسباباً
للمرض والموت ، فالبقعة ليس لها عندنا النهار بل الليل ،
والصحح لا يكون فينا بالوعى بل بالشكر ، والراحة لا تكون
لنا في السكون والافتراد بل في الاجتماع والتبذل ؛ وما يرد
العيش على امرأة من واجباتها المهر ، والسكرة والمريدة ،
والتبذل ، وتدريب الطباع بالوقاحة ، وتفسيرية النفس على

(١) أي بكاشفان ويجلو كلاماً للآخر ويوضح

الاستغواء والتصدّي بالجمال للكسب من رذائل الفسق
وأمرأيتهم ، ولتعرض لمروفتهم بأساليب آخرها الموان
والمنة ، واستباحتهم بأساليب أولها الخلد والمكر ؟

إن حياة هذه هي واجباتها ، لا يكون البكاء والهلم إلا من
طبيعة من يحياها ، وكثيراً ما تعالج الضحك لتفتح لأفئدنا طرقاً
تهارب فيها معاني البكاء ؛ فإذا أنقلنا الهلم وجل عن الضحك
وعجزنا عن تكليف السرور ، خلتنا العقل نفسه بالحز ؛ فما
تسكر المرأة منا للسكر أو النشوة ، بل للنسيان ، وللمعدة على
الرح والضحك ، ولأمداد محاسنها بالأخلاق الفاجرة من
الطيش والخلاعة والسفّه وهذا إن الجمال الذي هو شعره
البلع عند بلقاء الفسق

قال الأستاذ (ح) : أهدأ وحارضر الغادة منكن هو الشباب
والعصب والجمال وإقبال العيش ، فكيف بها فيما تستقبل ؟

قالت : إن المستقبل هو أخوف ما نخافه على أنفسنا ، وليس
من امرأة في هذه الصناعة إلا وهي معدة لمستقبلها إما نوعاً من
الانتحار ، وإما ضرباً من ضرور الاحتمال للذل والخسف ،
وليس مستقبلنا هذا إلا لاستقبال الفجار النضرة إذا بقيت بعد
أوانها ، فهو الأيام المصفنة بطبيعة ماضى بلى إن مستقبل
المرأة البغي هو عقاب الشر

قال (ح) : هذا كلام يبنى أن تعلمه الزوجات ؛ فالمرأة
منهن قد تتبرم بزوجها وتضجر وتنقم ، وتزعم أنها معذبة
فتسخط الحياة ، وتندب نفسها ؛ ثم لا تعلم أنه عذاب واحد
برجل واحد تألفه فتتأده فتزق من اعتياده الصبر عليه
فيسكن بهذا نفساً رها . وتلك نعمة واجبتها أن تحمد الله عليها
مادام في النساء مثل الشبهيدات تعذب الواحدة منهن فتوتا
من المذاب بمائة رجل ويألف رجل ، وهم مع ذلك يقبلون
روحها بعدد من الذنوب والآثام

وقد تستقل الزوجة واجباتها بين الزوج والنسل والدار ،
فتتناظ وتنسكو من هذه الرجرجة اليومية في الحياة ، ثم لا تعلم
أن نساء غيرها قد انقلبت بهن الحياة في مثل الخسف بالأرض
وقد تجزع للمستقبل وتنسى أنها في أمان شرفها ، ثم

أو البؤس على هؤلاء المسكينات ، كأن الطبيعة كلها ترجهن بالحجارة ..

قالت هي : وليست الحجارة هي الحجارة فقط ، بل منها ألفاظ تُرجمُ بها المسكينة كالأفلاك هذه ... وكنسمة الناس لها . « بالساقطة » فهذه الكلمة وحدها صخرة لا حجر

نم نهدت وقالت : من عسى يعرف خطَرَ الأسرة والنسل والفضيلة كما تعرفها المرأة التي فقدتها ؟ إننا نحسبها بطبيعة المرأة ، ثم بالحزن إليها ، ثم بالحسرة على فقدانها ، ثم برؤيتها في غيرنا ، نعرفها أربعة أنواع من المعرفة إذا عرفتها الزوجة نوعاً واحداً . ولكن هل ينصفنا الرجال وهم يتدافعوننا ؟ هل يرضون أن يتزوجوا منا ؟

قلت : ولكن الأسرة لا تقوم على سواد عيني المرأة وحسرة خديها ، بل على أخلاقها وطباعها . فهذا هو السبب في بقاء المرأة حيث ارتطمت . وهي متى سقطت كان أول أعدائها قانون النسل

ومن ثم كانت الزلة الأولى ممتدة متمسكة إلى الآخر ، إذ الفتاة ليست شخصاً إلا في اعتبارها هي ، أما في اعتبار غيرها فهي تاريخ للنسل إن وقعت فيه غلطة فسد كله وكذب كله فلا يوثق به

وهذه الزلة الأولى هي بدء الانهيار في طابع رقيقة متداخلة متساندة لا يقيمها إلا تماسكها جملة ، وما لم يماسك إلا بجملته فأول السقوط فيه هو استمرار السقوط فيه . ولهذا لا يعرف الناس جرعة واحدة تُسد سلسلة جرائم لا تنتهي إلا سقطت المرأة . فهي جريمة مجنونة كالاعصار الثائر يلف لفاً ، إذ تتناول المرأة في ذاتها ، وترجع على أهلها وذويها ، وترمي إلى مستقبلها ونسلها ، فتمتلكها الناس هي وسائر أهلها ، من جاءت منهم ومن جاءوا منها

والمرأة التي لا يحميها الشرف لا يحميها شيء . وكل شريفة تعرف أن لها حياتين : إحداها المنة ، وكما تدافع عن حياتها الهلاك ، تدافع السقوط عن عفتها ، إذ هو هلاك حقيقته الاجتماعية . وكل فاقلة تعرف أن لها عقليْن تحمى بأحدهما من

لا تعلم أن نساء يتربصن هذا الآن كما يتربص المجرم عند الجريمة من يوم فيه الشرطة والنيابة والحكمة وما وراء هذا كله

فقلت : وهناك حقيقة أخرى فيها المزماء كل المزماء للزوجات ، وهي أن الزوجة امرأة شاعرة بوجود ذاتها ، والأخرى لا تشعر إلا بضياع ذاتها

والزوجة امرأة تجد الأشياء التي تتوزع حبها وحنان قلبها ، فلا يزال قلبها إنسانياً على طبيعته ، يفيض بالحب ويستمد من الحب . والأخرى لا تجد من هذا شيئاً ، فتقلب وحشية القلب ، يفيض قلبها برذائل ويستمد من رذائل ، إذ كان لا يجد شيئاً مما هيأته الطبيعة ليتعلق به من الزوج والدار والنسل

والزوجة امرأة هي امرأة خالصة الانسانية ، أما الأخرى فن امرأة ومن حيوان ومن مادة مهلكة

وتعالم السعادة أن النسل لا يكون طبيعياً مستقيماً في قانونه إلا للزوجات وحدهن ، فهو نعمتهن الكبرى ، وثواب مستقبلهن وماضيهن ، وبركتهن على الدنيا ؛ ومهما تكن الزوجة شقية زوجها فإن زوجها قد أولدها سعادتها ، وهذه وحدها مزية ونعمة . أما أولئك فليس لهن ماقبة (١) إذ النسل قلباً لمخالفتهن كلها ؛ وهو غنى إنساني ولكنه عندهن لا يكون إلا فقراً ، وهو رحمة ولكنها لا تكون إلا لامة عليهن وعلى ماضيهن . وقد وضعت الطبيعة في موضع حب الولد الجديد من قلوبهن ، حب الرجل الجديد ، فكانت هذه نقمة أخرى

قال (ج) : أتريد من الرجل الجديد من يكون عندهن الثاني بعد الأول ، أو الثالث بعد الثاني ، أو الرابع بعد الثالث ؟ قلت : ليس الجديد عليهن هو الواحد بعد الواحد إلى آخر العدد ؛ ولكنه الرجل الذي يكون وحده بالعدد جميعاً إذ هو عندهن يشبه الزوج في الاختصاص وفي شرف الحب ، فهو الحبيب الشريف الذي تتعلق به إحداهن وتريد أن تكون معه شريفة ؛ ولكن من نقمة الطبيعة أن من وجدته منهن لا تجده إلا لتمامي ألم فقدته

باعتبار كل شيء في الحياة يلقى شيئاً من المم أو النكد

(١) يقال ليس له عاقبة أى ليس له نسل وصب

تَرَوات الآخر ، وما عقلها الثاني إلا شرفُ عرضها

قال الأستاذ (ح) : إن هذه هي الحقيقة ، فاستمع الرجال في شرف العِرض إلا جملوا المرأة كأنها بتصف عقل فاندفعت إلى الطيش والعجور والغلاعة ، أرادوا ذلك أم لم يريدوه قلت : وهذا هو معنى الحديث : « عَفَّوْا تَعَفَّ نَسَائُكُمْ » فان عفاف المرأة لا تحفظه المرأة بنفسها ما لم تهيباً لها الوسائل والأحوال التي تعين نفسها على ذلك . وأهم وسائلها وأقواها وأعظمها ، تشدد الرجال في قانون العِرض والشرف

فإذا تَرَ أخى الرجال ضعفت الوسائل ، ومن بين هذا التراخي وهذا الضعف تنبثق حرية المرأة متوجهة بالمرأة إلى الخير أو الشر على ما تكون أحوالها وأسبابها في الحياة . وهذه الحرية في المدنية الأوربية قد عودت الرجال أن يُنفضوا ويتسححوا ، فتهافت النساءُ عندما تنال كل منهن حكم قلبها وتخضع الرجل

على أن هذا الذي يسميه القوم حرية المرأة ليس حرية إلا في التسمية ، أما في المعنى فهو كما ترى :

إما شُرود المرأة في التماس الرزق حين لم تجد الزوج الذي يمولها أو يكفيها ويقم لها ما تحتاج إليه ، فمثل هذه هي حرية حرية التكبد في عيشها ، وليس بها الحرية بل هي مستعبدة لعمل شر ما تستعبدُ امرأة

وإما انطلاق المرأة في عبثاتها وشهواتها مُستجيبةً بذلك إلى انطلاق حرية الاستمتاع في الرجال ، بتقدير ما يشتره المال ، أو تعين عليه القوة ، أو يسوغه الطيش ، أو يجلبه التهاك ، أو تدعو إليه الفنون . فمثل هذه هي حرية سقوطها وما بها الحرية بل يستعبدُها التمتع

والثالثة حرية المرأة في انسلاخها من الدين وفضائله ، فان هذه المدنية قد نسخت حرام الأديان وحلالها بحرام قانوني وحلال قانوني ، فلا مَسْقُطَةٌ للمرأة ولا غَضاضَةٌ عليها قانوناً . . . فيها كان يمدُّ من قبل رُخزيًا أقبح الخزي وطاراً أشد المار ، فمثل هذه هي حرية حرية فسادها ، وليس بها الحرية ولكن تستعبدُها القوضى

والرابعة غطرسة المرأة المتملة وكبريلؤها على الأنوثة والدكورة معاً ، فتري أن الرجل لم يبلغ بعد أن يكون الزوج الناعم كقفاز الحرير في يدها ، ولا الزوج الثوث الذي يقول لها نحن اسراءمان فهي من أجل ذلك مُطلقة غلالة كيلا يكون عليها سلطان ولا إبرة . فمثل هذه حرية بانقلاب طبيعتها وزينتها ، وهي مستعبدة لموسمها وشذوذها وضلائها

حرية المرأة في هذه المدنية أو لها ما شئت من أوصاف وأسماء ، ولكن آخرها دائماً إما ضياع المرأة وإما فساد المرأة والدليل على التواء الطبيعة في المدنية استواء الطبيعة في البادية ، فالرجال هناك قوم آمنون على النساء ، والنساء بهذا قوامات على أنفسهن ، إذ يتقمنون للنكر انتقاماً بفور دماً (١) وبهذه الوحشية يقررون شرف العِرض في الطبيعة الانسانية ويجملونه فيها كالنريزة ، فيحاجزون بين الرجال والنساء أول شيء بالضمير الشريف الذي يجد وسائله فائمة من حوله

قال الراوى : وغطت وجهها يديها وقالت : إنك لا تزال ترجم بالحجارة . . . إن فيك متوحشاً قلت بل متوحشة . . .

إنك أنت قد تكلمت في ، فجاءك القى يضع الانسان في ساعة مجنونة ليتمعه بطيشها ، فقد وضعتنا نحن في ساعة مفكرة وأمتنا بعقلها ، وإذا قلت جالك ، فقد قلت وحيك ، إذ لا جمال عندي إلا ما فيه وحى

أما قلت : إنك لو خيَّرت في وجودك لما اخترت إلا أن تكوني رجلاً فابنة يكتب ويفكر ويتلقى الوحى من الوجوه الجميلة ؟

(١) إلى ج . س . برسين (تركيا) . إذا كان حيا الفتاة أكبر من حاضرها فلن يكون أكبر من زمنها الآن كله ، فان كانت (تلك) قد نشأت على الفقر وتملت من فقرها الرضى ، ومارست الاحتمال وتملت من احتلالها الصبر ، فلتنفذ ههنا تغيير سيكون جبالاً وسروراً فقهما ويكون معها كائنه سادة من القى . أما إن كانت نشأتها في القرف ولها أخلاق الخمسة ، فان حبيبها الفقير سيكون لها ما جبالاً ، ثم يمل فيكون ما تتيلاً ، ثم يمل فيكون فقراً صرماً ، وتذهب الأروام ، وتأتى الجفاني ، ويوشك تكن ذبابة لتحمل الحب وتطير به من دارها

(الرافى)

فقدان الثقة

للأستاذ أحمد أمين

لعل أسوأ ما تُمتحن به أمة أن يفقد أفرادها الثقة بعضهم ببعض ؛ ففقدان الثقة يجعل الأمة فرداً ، والثقة تجعل الفرد أمة ؛ الثقة تجعل الأجزاء كتلة ، وفقدانها يجعل الكتلة أجزاء غير سالحة للالتحام ، بل يجعل أجزائها متنافرة متعادية توجه كل قوتها للوقاية والنكابة

كم من الزمن ومن المال ومن النظم ومن الخطط تنفق إذا فقدت الثقة ؟ ثم هي لا تنفي شيئاً ولا تميد ثقة

تصور أسرة فقد الزوج فيها ثقته بزوجه ، والزوجة بزوجها ، ثم تصور كيف تكون حياتها : نزاع دائم ، وسوء ظن متبادل ، وانتظار للزمن ليتم الخراب

وهكذا الشأن في كل مجتمع : في المدرسة ، في الجيش ، في الحزب ، في القرية ، في الأمة

بل مالنا نذهب بعيداً والانسان نفسه إذا فقد الثقة بنفسه

فدقت صدرها يدها وقالت : أنا ؟ أنا لم أقل هذا ، ثم أفكرت لحظة وقالت : إذا كنت أنت زعيمُ أنى قلتُ ، فأظن أنى قلتُ . . .

قال (ح) : رجل ؛ ويكتب ؛ ويفكر ؛ ولم تقل هي شيئاً من هذا . أربع غلطات شنيعة من فساد الذوق

قالت : بل قل أربع غلطات جميلة من فن الذوق . إن الرجل الظريف القوي الرجولة ، يجب عليه أن يغلط إذا حدثت المرأة قال (ح) : لتضحك منه ؟

قالت : لا بل لتضحك له

قلت : فلي اليك رجاء

قالت : إن صوتك يأمر ، فقل

فماذا قلت لها وماذا قالت ؟

(لها نصية) (ملطاً)

عبد الرحمن بن عبد الله

فقد نفسه ، فلا يستطيع الكاتب أن يكون كاتباً مجيداً ولا الشاعر أن يكون شاعراً متفوقاً ولا أى عالم وصانع مجيد علمه وصناعته إلا إذا وثق بنفسه لدرجة ما ؛ وكل من الكفايات ضاعت هباء لأن ذوبها فقدوا ثقتهم بأنفسهم ، واعتقدوا أنهم لا يحسنون صنماً ولا يجيدون عملاً

وكل ما ترى من أعراض الفشل في أمة سببه فقدان الثقة ؛ فالخرب ينهار يوم يفقد الأعضاء ثقتهم ببعض ، والشركة تنهار يوم يتعامل أفرادها على أساس فقدان الثقة ، والمدرسة تفشل يوم لا يثق الطلبة بأسانذتهم والأسانذة بطلبهم ، وكل جماعة تفنى يوم يتم فيها فقدان الثقة

كل نظمنا — على ما يظهر — مبنية على فقدان الثقة ، فوظائف « المفتشين » في جميع مصالح الحكومة والشركات أصبحت مؤسسة على فقدان الثقة ، فالفقش في البرام والسيارات العامة مبنية ضعف الثقة « بالكسارى » ، ومفتش المالية ليراقب حركات مرءوسيه حتى لا يختلسوا أو يزوروا ، ومفتشو الوزارات ليروا إلى أى حد يطبق الموظفون تعاليم الوزارة

قد كان الظن بالمفتشين أن يؤدوا عملاً آخر غير هذا ، وهو أن يشرفوا على عمل المرءوسين ليوجههم وجهة سالحة ، ويتعاونوا معهم على رسم الخططة القويعة ، ويصححوا الخطأ ، ويكملوا النقص ، ولكنهم — في الأغلب — وقفوا فقط موقف الضابط بضبط الجريئة ، والصائد يرقب الفريسة ، لا موقف الهادي المرشد والناسح الأمين

فإن أردت « بنداً » واحداً من « بنود » ما ينفق من الأموال في سبيل عدم الثقة فاجمع مرتبات المفتشين في جميع مصالح الحكومة

وليس الأمر مقصوراً على هؤلاء ، فالراجعون ومرامجو المراجعين ؛ والأوراق تمر من يد إلى يد ، ومن قلم إلى قلم ، ومن مصلحة إلى مصلحة ، ومن وزارة إلى وزارة . كل ذلك له أسباب ، أهمها « فقدان الثقة »

وإن شئت حصر ما يمتلئك من الأموال لفقدان الثقة فلا تكلف مرتبات المفتشين ، بل أضف إليها مرتبات كل هؤلاء

و «فتى» يضع الكتب كل يوم في أماكنها ، فإذا يكون الشأن وماذا يكون حسابنا في المكسب والخسارة ؟ لاشك أننا سنفقد كتباً يرقها بمض التردد ، وهذا هو كل الخسارة ، ولكننا بجانب ذلك نوفر مرتبات كاتب ومراقب ومفتش ، ونوفر أزماناً طويلاً تصرف في عمليات الجرد والحصر ، وتنتشر الثقة بين المطالعين ، ونشعرهم بأن المكتبة في حمايتهم هم وتمت اشرافهم ، فنتمنى فيهم الشعور بالثقة ؛ فإذا كان هذا مكسبنا وهذه كل خسارتنا ، قال النار هذه الكتب المفقودة ، وخسئت عين كل من ينظر في عمليات الحساب إليها وحدها ، ولا ينظر إلى كل هذه الأرباح التي ربحناها

وهذا المثل الصغير يمكن تطبيقه تمام التطبيق على الأعمال الكبيرة في المصالح المختلفة ، بل إلى أشد شئ نشر الثقة بين الناس وتسهيل الأعمال ، وشعور الناس بالطمأنينة بأي ثمن ، بل لو أن التجارب دلت على أن ما نفقد من الأموال أكثر مما نربح إذا أسسنا النظم على أساس الثقة لاستهدرت في تجريبتي ونظريتي ، وآمنت بوجود الانتظار على هذا الأساس الجديد حتى يذهب هذا الجيل الذي أفسده النظام القديم ، وقضى على نفسه وعلى شعوره ، ولأنتظر جيلاً جديداً نشأ في احضان « الثقة » والشعور بالواجب وبالبيعة وبالحرية في العمل في دائرة ضيقة من القوانين المعقولة

وهكذا الشأن في جميع الأمور السياسية والاجتماعية ، ثقة أفراد الحزب بعضهم ببعض — ولو مراعاة للمصلحة — أمنهم للنجاح ، وأقرب لتحقيق الغرض ؛ وثقة الجمعية برئيسها ، والرئيس بأعضائها — ولو تصنما — أقرب لأن ينقلب التصنع خلقاً وقد رأينا — دائماً — أن المدوى في المعاني كالمدوى في المحسات ، فكما أن التثاؤب يبعث التثاؤب ، والضحك يبعث الضحك ، فكذلك الثقة تبعث الثقة وعدسها يبعث عدسها . وبعد ، فلا تزال ترن في أذني كلمة سمعتها من أستاذ انجائزي كان في الجامعة : « إذا كنتم لا تريدون أن تولوا أموركم الأجنبي ، ولا تمنحون ثقتكم المصري ، فكيف تمشون ؟ »

أحمد أمين

الذين ذكرنا ، فلو قلنا إن نصف مرتبات الموظفين ينفق في سبيل فقدان الثقة لم تبعيد

وليست المصيبة كلها في الأموال ، فلو كنا تقدر للزمان قيمة كغيرنا من الأمم لاستغظمتنا ما يستوجب فقدان الثقة من أيام وشهور وستين تضيق في إجراءات وتدقيقات ومراجعات ومناقضات وتطبيقات مبناهها كلها « فقدان الثقة »

ثم هناك عقول للتأبين وكبار أولى الأمر في الأمة تفكر ثم تفكر ، وتقدر ثم تقدر ، وتضع الخطط تلو الخطط ، والقوانين واللوائح والمنشورات تلو القوانين واللوائح والمنشورات ، ويخيل إليها أنها بما فعلت تأمن الحياة والسرقة والتزوير ، وتظن بذلك أنها تعالج ما فسد وتصلح ما اختل ، وهي إنما تزيد بذلك في « فقدان الثقة »

أضف إلى هذا ما تسببه هذه المظاهر كلها على نفسية الموظف ، فهو يرى كل هذه النظم واللوائح والقوانين والمراجعات والمناقضات فيشعر أنها إنما شرعت له ومن أجله وبسبب فقدان الثقة به ، وأنها كلها تنظر إليه كلص وكعجرب وكزور ؛ فيفقد الثقة بنفسه ، ويعمل في حدود ما رسم له ، ويشعر بالسلطات المختلفة عليه ؛ فلا يجرؤ على التفكير بمقله ، ولا يجرؤ على تحمل تبعه ، ويفر من البت في الأمور ما وسعه الفرار ، حتى يكون دائماً من الأسئلة والمناقضات — وهذا هو سر ما نراه من بطء في العمل ، وركود في الحركة ، وضياح لمصالح الناس ، إذ لا شيء يبعث الثقة في المردوس مثل أن يثق به الرئيس ، ولا شيء يبعث الحيرة والارتباك والاضطراب إلا ما يشعر به من « فقدان الثقة »

أنا كفيل بأننا لو قلبنا كل هذه النظم وأسا على عقب وهدمناها من أسسها وأزلنا أبقاضها ، ثم بنيناها على أسس جديدة من الثقة البحتة ، ما خسرتنا من الأموال وما خسرتنا من الأزمان والأنفس ما نخسر الآن ولو كثرت اللصوص وكثر الخائنون والمزورون

هـب أنا فتحنا مكتبة وأسسنا نظامها على الثقة بالموظفين والتردد من المطالعين فاستغنيا عن مراقب واستغنيا عن مراجع واستغنيا عن مفتش وهكذا ، واكتفينا بعير للكتب

افتتاح إفريقيا

وكيف غزاها الاستعمار الأوربي

بقلم مؤرخ كبير

نشرة

لم يبق اليوم في إفريقيا من الأمم المستقلة سوى الحبشة ، وجمهورية ليبيريا ؛ ولكن ليبيريا ليست في الواقع سوى منطقة للنفوذ الأمريكي ، وقد أنشأها الزوج الأمريكيون الأحرار ؛ ومع أنها جمهورية مستقلة وعضو في عصبة الأمم ، فإن السياسة الأمريكية هي التي تشرف على شؤونها العليا ؛ وعلى هذا فليس في إفريقيا اليوم أمة تتمتع باستقلالها الصحيح سوى إمبراطورية الحبشة ؛ وهي تتمتع بهذا الاستقلال منذ فجر التاريخ . وقد حاول الاستعمار الأوربي غير مرة أن يحطم استقلالها ، ولكنها استطاعت أن تدفع مشروعاته ومحاولاته ؛ والآن يعيد التاريخ دورته ويترصد الاستعمار الأوربي بالحبشة مرة أخرى ، ويحشد كل قواه وعدده المدمر ، ويطالب علناً باقتسامها والقضاء على استقلالها تحقيقاً لشهوة الفتح والتوسع ؛ وهأنذا أولاء نشهد المصاهرة وقد انقضت ، فهل تستطيع مملكة سبأ الخالدة أن ترد عنها عادية هذا الغزو الليبي ؟ وهل تستطيع القوز بهذا الاستقلال الذي حافظت عليه منذ الأحقاب ؟ وهل تبقى الحبشة آخر حصن للاستقلال الإفريقي ، أم تسقط صريمة الاعتداء ، فيجهز الاستعمار بذلك على آخر ملاذ لهذا الاستقلال ؟ هذا ما سيكشف عنه المستقبل القريب

وقد رأينا فيما تقدم كيف اقتسمت الدول الأوربية إفريقيا فيما بينها ، واستقرت كل منها في بعض مناطقها وأراضيها ، وأنشأت الدول الكبرى — انكلترا وفرنسا وألمانيا — كل منها في إفريقيا إمبراطورية استعمارية شامسة . وكانت إيطاليا إحدى الدول التي شاركت في افتتاح إفريقيا ، غير أنها خرجت منها بصفقة يسيرة . ويرجع ذلك إلى أنها كانت في أواخر القرن الماضي ، حين بدأ افتتاح إفريقيا ، ما تزال دولة قانونية ، حديثة عهد باستقلالها ووحدتها القومية ؛ وهذا إلى أنها لقيت خلال

غزواتها الاستعمارية نكبة لم تلقها أية دولة أوربية ، إذ هزمت جيوشها وسحقت في سوقعة « عدوة » الشهيرة حسبما تفصل بعد ، فوضعت هذه الهزيمة الساحقة حداً لمشاريعها الاستعمارية مدى حين بدأت إيطاليا محاولاتها الاستعمارية في سنة ١٨٨٢ ، إذ أرسلت إلى بلاد أرتريا حملة احتلت خليج عصب وما يليه جنوباً ؛ واحتلت ثغر مصوع وما يليه من الساحل شمالاً (سنة ١٨٨٥) ؛ وأرسلت حملة أخرى إلى بلاد الصومال مما يلي المحيط الهندي ، فاحتلت شقة ضيقة طويلة على الساحل ، من نهر جوبا حتى رأس جردفوي ، وهي التي تعرف اليوم بالصومال الإيطالي (سنة ١٨٨٨) . وكانت إيطاليا يومئذ دولة ناشئة فتية تجهش بأمال كبيرة ، وكان وزيرها الشهير (كرسبي) روح هذه المناهضات الاستعمارية ؛ وكان يحلم بإنشاء إمبراطورية استعمارية إيطالية ضخمة في شرق إفريقيا تضم الحبشة ، وتصل ما بين الأرتريا والصومال ؛ وكان تغام اللول الأوربية على اقتسام إفريقيا يحول لأيطاليا حرية العمل في تلك المنطقة . فلما تم احتلال الأرتريا والصومال ، اعتقد كرسبي أن الفرصة قد سنحت لغزو الحبشة ، والعمل لإنشاء الإمبراطورية الاستعمارية التي يتوق إلى إنشائها

وكانت الحبشة منذ منتصف القرن التاسع عشر تجوز فترة من الضعف والتفرق ؛ وكان ملكها يومئذ الإمبراطور تيودور ، وهو أمير من أمهرا يدعى كاساي ، اغتصب العرش من الرأس (على) ملك الحبشة السلم ، وأقام نفسه إمبراطوراً ، وبسط على الحبشة حكمه المطلق ، وأثار بشدته وعنفه في معاملة الأجانب سخط الدول الأوربية ، وقبض على عدد من الرسلين والزلاء الانكليز وأبى أن يطلق سراحهم ، فجهزت انكلترا حملة لغزو الحبشة بقيادة السير نايبير ؛ ونفذت هذه الحملة إلى الحبشة في سنة ١٨٩٨ ، وهزمت جيش الإمبراطور ، قاضطر تيودور أن يطلب الصلح ، ثم انتحر يأساً وغماً ؛ وانسحب الانكليز ، وعادت الحرب الأهلية في الحبشة ، واستولى على العرش كاساي أمير تجري ، ونصب نفسه إمبراطوراً باسم يوحنا الثاني ؛ ولبثت الحبشة في حالة اضطراب وفوضى ؛ واحتل الإيطاليون في تلك الفترة ساحل أرتريا والصومال ؛ وكانت الجيوش المصرية قد نفذت قبل ذلك بأعوام إلى بعض مناطق الحبشة مما يلي السودان

إلى جانب « زوديتو » ، ولما توفيت الأميرة سنة ١٩٣٠ ، انقرد بالملك وتلقب باسم « هيللا سلامي » ، وفى عهده قطعت الحبشة مراحل كبيرة فى سبيل التقدم والاتحاد الوطنى ، والتحققت بمعية الأمم (سنة ١٩٢٣) ، وزار الأميراطور إيطاليا سنة ١٩٢٥ فاستقبل فى رومة بمفاوة كبيرة ، وعقدت على أثر ذلك بين البلدين معاهدة صداقة وتحكيم واعتقدت الحبشة أنها فى ظل عصبة الأمم ، وظل الصداقة الإيطالية الجديدة ، قد أمنت مطامع الاستثمار ومشاريعه الفادرة

وكانت إيطاليا منذ نكبة « عدوة » قد وجهت مطامعها الاستعمارية شطراً آخر . وكانت طرابلس ، هى المنطقة الوحيدة التى بقيت من شمال إفريقيا بعيدة عن الاحتلال الأوربى ؛ وطرابلس تواجه إيطاليا فى الضفة الأخرى من البحر ، وفيها مناطق متبسطة شاسعة تصلح للحرث والاستثمار ؛ ومنذ قادمة هذا القرن تعمل إيطاليا لانتزاع طرابلس من قبضة تركيا الضعيفة ، ولم تلق إيطاليا اعتراضاً من انكلترا أو فرنسا إذ كانتا تؤثران أن تحمل فى طرابلس دولة ذاتية مثل إيطاليا وتخشيان أن تحتلها منافستها القوية ألمانيا . وهكذا استطاعت إيطاليا بموافقة انكلترا وفرنسا أن تمد عتبتها لاحتلال طرابلس . وفى أواخر سنة ١٩١١ وجهت إيطاليا إلى تركيا بلاغاً نهائياً تزعم فيه أن مصالحها فى طرابلس قد عبت بها ، وأتبع ذلك فى الحال باحتلال نفرى طرابلس وبنغازى ، وتركت تركيا كعادتها طرابلس لمصيرها ، ولم يتقدم للدفاع عنها سوى حاميتها الصغيرة ؛ ولكن ذرة من الضباط البواسل بين ترك ومصريين استطاعوا أن يحشدوا رجال القبائل لقتال العدو الغير ، واستطاعت الحرب الطرابلسية زهاء عام (حتى أكتوبر سنة ١٩١٢) وانتصر الإيطاليون فى النهاية وعقدوا الصلح مع تركيا ، واعترفت تركيا بالحماية الإيطالية على طرابلس . ولكن إيطاليا اشترت ظفرها غالياً بالمال والرجال ، ولم تتقدم مع ذلك كثيراً داخل طرابلس ، لأن رجال القبائل واسلوا الدفاع عن وطنهم ، واستمرت إيطاليا تعاني أشد المتاعب فى طرابلس مدى أعوام طويلة . ولم توفق إلى إخضاع القبائل إلا منذ سنة ١٩٢٥ ، إذ جردت عليها قوى جرادة . واستعانت

فاستطاع الأميراطور يونحنا أن يوقع بها هزيمة قاصمة وأن يرغمها على الجلاء عن الحبشة (سنة ١٨٧٦) ، ولما توفى يونحنا سنة ١٨٨٩ خلفه على العرش منليك أميرشوا ، باسم الأميراطور منليك الثانى . وبدأ منليك حكمه فى ظروف صعبة ؛ وكانت إيطاليا قد استطاعت أن تتقرب إلى الحبشة ، وأن تبسط عليها نفوذها شيئاً فشيئاً تحت ستار المعاونات والصلوات الودية ، وما زالت حتى استطاعت بسياسة الضغط والوعيد أن تجعل منليك على أن يعقد معها معاهدة حماية مقنعة هى التى تعرف بمعاهدة أوشالى (مايو سنة ١٨٨٩) ، وبها وضمت الحبشة تحت نوع من الوصاية الإيطالية ؛ وحاولت إيطاليا خلال الأعوام التالية أن تتدخل فى شؤون الحبشة تدخلاً قوياً ، وأن تفرض عليها إرادتها ، واستطاعت أن تحتل بعض أنحائها المجاورة لأترية ، ولكن الشعب الحبشى لم يلبث أن ناز لهذا الاعتداء على أرضه وحرياته ؛ وقاد منليك هذه الثورة الوطنية ، جردت عليه إيطاليا جيشاً ضخماً قوامه خمسون ألف مقاتل بقيادة الجنرال باراتيرى ؛ ولكن الوطنية الحبشية غمرت كل شيء وسحقت الجيوش الإيطالية فى موقعة عدوة الشهيرة من أعمال ولاية تجرى (٢ مارس سنة ١٨٩٦) ، ولم يبق منها سوى فلول ممزقة ، وحطمت آمال إيطاليا ومشاريعها الاستعمارية ، وأرغمت على الاعتراف باستقلال الحبشة ؛ واستمر منليك الثانى أو منليك الأكبر محرر الحبشة أعواماً طويلة يقودها فى سبيل الإصلاح والتقدم ؛ وفى عهده نظمت الحبشة علاقتها مع الدول الأوروبية ، واستطاعت أن ترغمها جميعاً على احترام استقلالها . وفى سنة ١٩٠٦ عقد تحالف ثلاثى بين بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا يقضى بالعمل المشترك بينها لحماية أراضيها ومصالحها فى تلك المنطقة ، وينص على وحدة الحبشة واستقلالها ، وينص أيضاً على تفوق المصالح الإيطالية فى الحبشة . ولما توفى منليك الأكبر سنة ١٩١٣ خلفه حفيده « ليجى ياسو » بعهد منه ؛ ولكن عوامل التفرق طادت تعمل عملها ، واضطربت الحرب الأهلية مرة أخرى ، وعزل « ليجى ياسو » بعد خطوط وحوادث جمة ، وتولت العرش « زوديتو » كبرى بنات منليك ، وعين الرأس نفرى وصياً للعرش وولياً للعهد ، فاستأثر بكل سلطة حقيقية ولم تمنح أعوام قلائل حتى أعلن نفسه أميراطوراً

القباصرة من جديد ، وأن يجعل من البحر الأبيض المتوسط بحيرة رومانية ، وأن يرد مصر — بعد الاستيلاء على الحبشة — إلى حظيرة الامبراطورية الرومانية الجديدة ؛ ولكن موسوليني ليس بقيصر ، وليست إيطاليا الفاشستية بالدولة الرومانية ، وهيئات أن يسمع العالم الحديث لهذه الفاشستية المحمومة بأن تضع لحة من أحلامها المريضة موضع التنفيذ. ولقد كانت إيطاليا منذ جيلين فقط أمة مستعبدة ممزقة تجاهد لاستقلالها ووحدتها ، ولكنها اليوم ، وهي حديثة عهد بنعمة الاستقلال ، لا ترى بأساً من أن تجني على استقلال شعب حاربها ، لأنها فقط تحلم بافتتاحه واغتيال أرزاقه ؛ ولكننا نحن الذين لا يؤمنون بمظلمة الفاشستية ، ولا بخلاها ووسائلها الثيرة ، نتوقع أن تكون هذه المظلمة الذميمة — وقد اجترأت الفاشستية على تنفيذ مشروعاتها — قبر الفاشستية وقبر مطالعها وأحلامها الدموية الأثيمة

(***)

د تم البحث

لجنة التأليف والترجمة والنشر

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :

تاريخ الأدب العربي

في جميع عصوره

بقلم الأستاذ

احمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفاً جديداً تقرأ منها نموذجاً في هذا العدد والأعداد التالية

بأشنع وسائل الفتك الحديثة ، ومع ذلك فإنها تقم في طرابلس على بركان من الحفيظة والبغض قد يتفجر لأول فرصة

ومنذ قيام الطغيان الفاشستي في إيطاليا ، تضطرم إيطاليا الفاشستية بآمال وأطامع جديدة ، وتساورها حتى التوسع والفكرة الامبراطورية. وكانت إيطاليا قد حصلت منذ سنة ١٩١٥ بمقتضى معاهدة لندن السرية على وعود من فرنسا وانكلترا بأن تعوض عند دخولها في الحرب بمنح استعمارية في إفريقيا ، ولكن الحلفاء نكثوا وعودهم في مؤتمر الصلح ، واكتفوا بما استولت عليه إيطاليا في أوروبا من تراث النمسا. ولكن إيطاليا الفاشستية شددت في طلب الوفاء بالعهود المقطوعة ، واستطاعت أن تحصل على مزايا استعمارية جديدة في إفريقيا ، مثل استيلائها على واحة جنوب المصرية وواحة العوينات السودانية بفضل تفوذ انكلترا ، واستيلائها على منطقة شاسعة من السودان الفرنسي بمقتضى المعاهدة الفرنسية الإيطالية الأخيرة. ولما اعتقد موسوليني أنه سها بإيطاليا وقواها العسكرية والمعنوية إلى أرفع مكانة ، اتجه بأنظاره إلى الحبشة ، ورأى أنه يمزوها واحضلائها يحو وصمة الماضي المؤلم ، ويحقق حلم إيطاليا المحطم في انشاء امبراطورية استعمارية كبيرة تشمل الأترورية والصومال والحبشة. وهانحن أولاء نشهد منذ أشهر قوى الفاشستية تتدقق بواسطة قناة السويس إلى شرق إفريقيا ، وهامى تنزوا أراضي الحبشة ؛ وهكذا زرع الاستعمار الأوربي أن ينقض على آخر وحدة مستقلة في إفريقيا ليفترسها كما افترس سائر أخواتها من قبل ، وليلم الاستعباد جميع أرجاء القارة السمراء

وليس من موضوعنا أن نتحدث هنا عن مصائر هذه الحرب الاستعمارية الجديدة ، فإن في الحبشة شعباً باسلاً استطاع منذ فجر التاريخ أن يذود عن حرياته واستقلاله ، واستطاع حتى في العصر الحديث أن يلقى على أولئك الذين يتربصون به اليوم درساً عميق الأثر ، ولكننا نلاحظ بهذه المناسبة أن إيطاليا الفاشستية تذهب بعيداً في أحلامها القيصرية. أجل إن موسوليني يتشج اليوم بشباب قيصر ، ويفكر على طريقة الدولة الرومانية ، ويتصور أنه يستطيع بما اكتمل له من الاستعداد الحربي أن يخاق دولة

٤ - الشعر *

في صدر الاسودم وعهد بني أمية
بقلم احمد حسن الزيات

٣ - خصائص الشعر في العراق

وكان الهجاء كان في جرير غريزة يرى الناس عنها لأذى
سبب وطى غير معرفة ، فقد دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده
عدي بن الرقاع الساملي ، فقال له الخليفة : أنترف هذا ؟ قال :
لا يا أمير المؤمنين ، فقال : هذا رجل من عاملة ، قال جرير :
التي يقول فيها الله : « عاملة ناصبة تصلى نارا حامية » ، ثم قال
بيتا قبيحا ورد عليه عدي بمثله ، فهجاء جرير بقصيدة منها
ذلك البيت المشهور :

وابن البون إذا ما لُز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
ولعل ذلك راجع الى ميل في طبع أمه الى هذا الضرب من
البذاء والابذاء ، فاشتهت أن تراه فيه ، حتى صُورت لها تلك
الأممية في الحلم ، فرأت وهي حامل به أن حبلًا نزل منها فصار يشب
على الناس فيخنفهم واحداً بعد واحد ، فلما تأولت حرقها قيل لها :
إنك تلدين ولداً يكون شديد الهجاء والبلاء على الناس والشعراء ،
قسمته لذلك جريراً ! وسواء أراأت أمه هذه الرؤيا أم افترتها ،
فقد كان لها ولا ريب أثر قوى في توجيه قريحته منذ طفولته
وهجاء جرير على الجملة ضعيف الفخر لبعد مستقاء فيه ،
وما استطاع الفرزدق أن يمجزه إلا في مشواره ، فهو يقول له بحق :

غلبتك بالفقأ والمعنى وبيت المحتبي والخفاقات

يريد بالفقأ أو الفقى قوله :

ولست ولو فقات عينك واجداً أباك إن عُد الساعى كدارم
وبالمعنى قوله :

وإنك إن تسي لتدرك دارماً لأنت المعنى يا جرير المكلف
وبالمعنى قوله :

• من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربي الذي صدر حديثاً

بيتاً زدارة محتب بنفسائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
وبالخفاقات قوله :

وأين تُنقى المالكات أمورها بحق وأين الخفاقات اللوامع
والفرزدق يريد بهذه الأبيات الإشارة الى القصائد التي
تضمنتها وهي من عيون شعره ومبتين نغره

وضعف جرير في الفخر إنما يرجع الى الموضوع لا الى الأسلوب ،
فانه أجل خصوصه صباغة ، وأوفرهم بلاغة ، وأرقهم لفظاً ،
وأطفهم مدحلاً ، وأكثرهم اقتنائاً . ولسهولة شعره وقلة غريبه
تفق عند العامة والشعراء ، دون الرواة والعلماء

وهجاء هؤلاء الأقران الثلاثة إذا استثنينا منه المعاني الجديدة
والهجة الشديدة والتصوير البارع ، لم يخرج عن سمات الهجائيين
الفحول كالخيل الفريسي ، وحسان بن ثابت ، والحطيئة ، في
الابتداء بوصف الطلل والقزل ، والاعتماد على المفاخرة والمنافرة ،
وتلمس العيوب من خبايا الماضي ، والانتقال المقتضب من معنى
الى معنى . وأشد ما يسيب هجاء جرير والفرزدق كثرة التكرار ،
فان كلا الرجلين إنما يهجو صاحبه بطائفة من الحوادث والصفات
ذكرناها من قبل ، فلا نراه يعدل عنها ، ولا يكاد يزيد عليها ،
ونما يرددها في كل قصيدة أو تقيضة في أساليب شتى وقوافير
مختلفة ، فاذا قرأنا لكل واحد منهما واحدة منهم لا يضيرنا
بمدها ألا نقرأ غيرها . كذلك إذا ألمنا بهجاء الأخطل والفرزدق
وجرير فقد ألمنا بسائر الهجاء في هذا الطور ، لأنه مصوغ من
مادته ومضروب على مثاله

على أن أساليب شعراء العراق في الهجاء الحزبي تختلف عنها
في الهجاء الفردي ، فبينما هم في هذا لا يترقبون عن الصجر ولا
يتورعون عن الكذب تراهم في ذلك يذهبون مذهب الجاهليين ،
فيقاخرون بالنسب ، ويكاثرون بالسدد والمال ، ويؤثرون اللفظ
الشريف والأسلوب العف ، بيد أنهم يخلون في الفخر حتى يجعلونه
في الدين والحكم والعلم والوطن

قال أعشى همدان وهو من أنصار ابن الأشعث :

أكع البصرى إن لا قيته إنما يكسع من قل وذل
واجمل الكوفى في الخيل ولا تجمل البصرى إلا في النفل

وكقول الكيت :

بنى هاشم رهنم النبي قاننى بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خففت لهم منى جناحى مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وأررى وأرعى بالداوة أهلها وإنى لأودى فيهم وأؤنب

وكفة الأمويين فى هذا الباب أرجح ، لما تجمّع لهم من
الترغيب فى المال ، والترهيب بالملك ، والتليق لهوى النفوس ،

فدحهم ونصرهم أكثر الشعراء فى عصرهم ، إما دفعاً لشرم
وإما طمعاً فى خيرهم ، حتى الذين شابهوا خصومهم من الزيريين
والمعلويين لم يستطيعوا حبس لمابهم عن عطايا القصر

وقد يأتى الشعر السياسى فى صورة الهجاء كما مرّ ، وكما قال
أعشى ربيعة لعبد الملك :

آل الزبير من الخلافة كالى عجل التاج بحملها فأحلمها
أو كالضمان من المحولة حملت ما لا تطيق فضيحت أحلمها
قوموا إليهم لا تناموا عنهم كم للفؤاة أطلتم أمهالها
إن الخلافة فيكم لا فيهم ما زلتم أركانها ونالها
أمسوا على الخبزات قفلاً مغلقة فانفض يمينك فافتتح أقالها
وقد يكون اقتراحاً لسياسة واستطلاعاً لرأى ، كقول
مسكين الدارمى ، وقد أوعز إليه معاوية أن يقترح البيعة من بعده
لابنه يزيد ليمر رأى قومه فى ذلك :

إليك أمير المؤمنين رحلتها تنير القفا ليلاً وهن هجود
ألايت شمعى مايقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سميد
بنى خلفاء الله مهلاً قائماً يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر القوي خلاه ربه قال أمير المؤمنين يزيد
فلما أتم إنشاده قال له معاوية : تنظر فيما قلت يا مسكين
ونستخير الله

ومثل ذلك حدث من عبد الملك ، فقد أراد أن ينقل ولاية
العهد من أخيه عبد العزيز إلى ابنه الوليد ، فأمر النابغة الشيبانى
أن يقترح ذلك فى حضرة الناس فقال :

لآبئك أولى بملك والله ونجم من قد عصاك مطرّح
داود عدل فاحكم بسيرته ثم ابن تحرب قانهم نصحو
وهم خيار فاعمل بنهم واحى بخير واكدهج كما كدهجوا

وإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فطننا بكم يوم الجمل
بيعت شيخ خاضب عثنونه وقتى أبيض ومناح رقتل
جاءنا بخنطر فى سابضة فذبجناه ضحى ذبح الحمل
وعفونا فنسيتم عفونا وكفرتم نعمة الله الأجل
ومن هجائه السياسى الدينى قوله مرثجراً فى الحجاج :

شطت نوى من داره بالابوان

إبوان كسرى ذى القزى والريحان
إن ثقيفاً منهم الكذابان كذابها الماضى وكذاب ثان
أمكن ربي من ثقيف همدان إنا سمونا للكفور الفتان
حين طنى بالكفر بعد الايمان بالسيد التطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدي من قحطان فقلل الحجاج ولى الشيطان
يثبت لجمع منجج وهدان فانهم ساقوه كأس الديقان
ولحقوه بقوى ابن مردان

وهذا النوع من الهجاء قليل التفوق والبقاء ، كثير النفاق
والرياء ، لطمع الشعراء فى حياء الخلفاء وإيثارهم فى الغالب سلامة
البدن على سلامة العقيدة . وليس الهجاء الحزبى إلا صورة من
صور الشعر السياسى الذى نفق فى هذا العصر ؛ وما زعم بهذه
التسمية أن الاسلاميين قد وقعوا على مذهب فى الشعر جديد
القصد والغاية ، فإن مساجلة الخصوم بالشعر كانت مألوفة فى عصر
الجمالة مشروعة فى عهد النبوة ، إنما تقصد بالشعر السياسى طائفة
من المعانى الجديدة استوحشتها خواطر الشعراء من اختلاف
الأحزاب فى الرأى ، وتنازع الزعماء فى الحكم . جاءت هذه
المعانى الجديدة على النهج القديم فى صور مختلفة ، نستطيع أن
نردها إلى أربع : فقد أتت فى صورة المدح المشوب بالتهريض
والتمريض كقول أبى العباس الأعمى :

أبى أمية لا أرى لكم شهاً إذا ما التفتت الشيع
سة وأحلاماً إذا زرعت أهل الحلوم فصرها الزرع
أبى أمية غير أنكم ، والناس فيما أطعموا طعموا ،
أطعمتمو فيكم عدوكم فما بهم فى ذاكم الطمع
فلو أنكم كنتم تقومكم مثل الذى كانوا لكم رجوعوا
عما كرمتم أو كروهم حذر المقوبة ، إنما ترع

فابتسم عبد الملك ولم يتكلم ، فلم الناس أن ذلك أمره
ثم يكون أحيانا جدلاً في رأى أو بياناً لمذهب ؛ فمن الجدل
السياسى ما وقع بين كعب بن جليل والنجاشى في المناظرة بين على
وسماوية . فقد قال كعب :

أرى الشام تكره ملك المراق وأهل المراق لهم كارهينا
وكل لصاحبه مبعوض يرى كل ما كان من ذلك ديننا
وقالوا على إمام لنا قتلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا لهم قتلنا لهم لا نرى أن نديننا
وكل يسر بما عنده يرى غث ما في يديه سمينا
وما في على بمستحب ينال سوى ضمه المحدثينا
وليس براض ولا ساخط ولا في النهاية ولا الأمرينا
ولا هو ساء ولا هو سر ولا بد من بعد ذا أن يكونا
فلما بلغ ذلك الامام علياً أمر النجاشى أن يجيبه فقال :

دعني مساوي ما لم يكونا لقد حقق الله ما تحذرونا
أنا كم على بأهل المراق وأهل الحجاز فما تصنعونا ؟
يرون العلمان خلال المجاج وضرب الفوارس في النقع ديننا
هو هزموا الجمع جمع الزبير وطلحة والمشر اثنا كطينا
فان يكره القوم ملك المراق قديماً رضينا الذي تكرهونا
فقولوا لكعب أخى وائل ومن جعل الفث يوماً سمينا :
جعلتم علياً وأشياعه نظير ابن هند ألا تستحقونا ؟
ومن البيان المذهبي قول كثير حمزة يشرح عقيدة الشيعة
في الامامة :

ألا إن الأنمة من قریش ولا الحق أربعة سواء :
على والثلاثة من بنیه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسيط سبط إسمان وبر وسيط غيبته كربلاء
وسيط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدها اللواء
فصيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده غسل وماء
وكقول ثابت قلانة ، وهو من شعراء الأمويين ، يفصل
مذهب الأرباء :

يا هند فاستمى لي إن سيرنا أن نبيد الله لم نشرك به أحدا
ترجى الأمور إذا كانت مشبهة وتصديق القول فيمن جارا وعندا
المسلمون على الاسلام كلهم والشركون استبوا في دينهم قددا

ولا أدري أنت ذنباً بالغ أحداً

في الناس شركاً إذا ما وحدوا الصمدا
إلى أن قال :

كل الخوارج غطى في مقالاته ولو تعبد فيما قال واجتهدنا
أما على وعثمان فانهما عبادان لم يشركا بالله مذعبنا
الله أعلم ما قد يحضران به وكل عبد سيلقى الله منفردا
هذه جملة المعارض التي فرضت بها المعاني السياسية ، ولعلك
تلاحظ من هذه الأمثلة أنها في الغالب سهلة الفهم ، نافية
القافية ، بادية التكلف ، تشبه من بعض الوجوه نظم المتنون .
وعلة ذلك أن اتصالها بالوجدان ضعيف ، وأن أكثرها إنما يصدر
عن طبع مكره ، أو شعور ممالق ، أو قريحة كائيه ، والفرق بين
شعر الأخطل والفرزدق وجبر ، وبين شعر هؤلاء الذين ذكرنا
كالفرق بين من يعبر عن شعوره وحسه ، ويدافع عن قبيله ونفسه ،
وبين من يتصل لسانه بقلب غير قلبه ، ويدفعه طمعه إلى عمالة
حزب غير حزبه

على أن من شعراء الأحزاب من قالوا الشعر عن عقائد دينية
وعواطف نفسية ، ونوازع عصبية ، فكان لشعرهم جمال الاخلاص
وروعة اليقين ، وقوة الحقيقة ، أولئك هم شعراء الشيعة والخوارج ،
لحق علينا ونحن في مقام البحث في شعر المراق أن نديم النظر
ساعة في أشعارهم ، لنستشف من خلالها صور مذاهبهم وأفكارهم
الزيات (يتبع)

قسم البلديات قلم التنظيم

تقبل المطامات لقسم البلديات بوزارة الداخلية حتى
ظهر يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٥ عن توريد ٢٧٠ لوحة
لشوارع مدينة الفيوم مكتوبة بالعربية والأجنبية
وتطلب الشروط والمواصفات من قسم البلديات مقابل
٥٠ ملياً ، وتقدم المطامات داخل مظاريف مختومة بالجمع
الأحمر ومصحوبة بتأمين ابتدائي قدره ٢٪ من قيمتها وكل
عطاء يرسل بطريق البريد ويصل متأخراً لا يلتفت إليه

يوم افتتاح المدارس

صور دمشقية سوداء

طبع الاصل ...

للأستاذ علي الطنطاوي

ذهبت أمس إلى المدرسة الأمينية^(١) ، وهي المدرسة الإسلامية التي انحطمت على جدرانها ثمانية قرون وهي قائمة ، وماتت من حولها ثمانية سنة وهي حية ، ونشأت دول وانقضت ، وبدلت تواريخ وختمت ، وتبدلت الأرض وتغيرت ، وهي ماضية في سبيلها ، عاكفة على عملها ، قد انقطعت عن الأرض من حولها ، واتصلت بالسما من فوقها ، فماشت في سما العلم والناس يعيشون في أرض المادّة ...

دخلتها فإذا هي صامنة ساكنة ، لا يسمع في أبنائها صوت مدرس يدرس ، أو دارسين يتلاوة ، وإذا في كل فصل من فصولها رقط من التلاميذ ، متفرقون في زوايا الفصل ، لا تنفرج شفاههم عن بسمّة السرور ، ولا تلع عيونهم يربني الجدل ، وإذا الأستاذ صاحب المدرسة قابع في غرفته ، يفكر حزينا ، وينظر آسفاً ؛ وهو القى لم يألُ العمل جهداً ، ولم يدبُ بالله ظنّاً ؛ فلما رآني قام إلى يحدّثني عن المدرسة ، ويملني عليها ، فإذا المدرسة قد زلزلت في مطلع هذا العام المدرسي ، لأن الناس قد مالوا عن المدارس الإسلامية وزهدوا فيها ، وزاغوا إلى المدارس الأجنبية وأقبلوا عليها ، وضمّوا على مدارسنا

(١) قال أستاذنا العلامة محمد بك كرد علي في خطط الشام (٦ - ٧٧) : الأمينية : قبل باب الزيادة للسورف اليوم باب القوانين من أبواب الجامع الأموي ، وهو شرق الجامعة جوار قيسارية القواسين بظهر سوق السلاح ، وكان به بابها (وبها اليوم من سوق الحرير) وتعرف هذه الحلة قديماً باب القباب ، وهناك دار سلمة بن عبد الملك ، قبل لها أول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية ، بناها أتابك الساكر اللقب بأمين الدولة ربيع الاسلام أمين الدين كسكين بن عبد الله الشنكي التوفي سنة ٤٤١ هـ وقد بنيت المدرسة سنة ٥١٤ هـ الخ ... قلت : وجاء ذكرها في ترجمة الغزال في طبقات السبك لما زار دمشق ، ودرس بها ابن خلكان وغيره ، وكان لها شأن بين مدارس دمشق كبير

بدينار واحد في العام ، لينحوا تلك ثلاثة أرباع الدينار في الشهر .. وأفاض الأستاذ في البيان ، حتى امتلأت نفسي حزنًا ، فخرجت حزينا فمرت على (الكاملية)^(١) فإذا هي في خطب أشد ، ومصيبة أفدح ، فجزت يد (الجوهريّة)^(٢) فإذا هي ماتت بعد شيخ الشام ، الشيخ عبد السفرجلاني ، وإذا فيها بنات يقرأن ويصحن ويلعبن ، فسلكت على (التجارية)^(٣) فإذا دارها الكبيرة في زقاق الفخر الرازي ، خلاء قواء ، وإذا هي قد انتقلت إلى الخبسطيّة فأخذت فيها دارا ، ورأيت (الجفقية)^(٤) القاعة التاريخية الجميلة ، والمدرسة الأثرية الجليلة ، فإذا هي قد أخذت داراً ...

فذهبت وأنا أحسّ الألم يقطع في كبدي ، والأسى يحزّ في قلبي ، ووددت لو أن الله قبضني إليه قبل أن أرى مدارسنا الإسلامية ، لا تستطيع أن تعيش في البلد الإسلامي ، ولا تجد من يشد أزرها ، ويأخذ بيدها ... وأتمت شارع بغداد ، أروح عن نفسي بخضرة البساتين ، وجمال الكون ، وانطلاق الهواء ، ومنظر الجبل ، فأراعي إلا أفواج من الناس قد ازدحمت على باب بناء كبير ، كأنه قلعة من القلاع ، أو قصر من القصور ، حتى لقد كادت تسدّ بكثرتها الشارع المريض : مارا عني إلا الناس على باب (مدرسة اللايك) ، يتدافعون

(١) قال في خطط الشام (٦ - ٧٥) : هي ابتكرت دار قرآن وحديث شرق حمام نور الدين الشهيد وراه سوق البرزورية أنشأها نائب السلطنة شمس سنة ٧٣٠ هـ . قلت : وسيت الكاملية المشاعية لأن الأستاذ الجليل الشيخ كامل الفصل جدد بناءها وجعلها مدرسة ثانوية فكانت حيناً من أرق مدارس دمشق

(٢) قال في المخطط (٦ - ٩١) الجوهريّة شرق تربة أم الصالح داخل دمشق بحارة بلاطة المروف اليوم رقائق المحكمة أنشأها الصدر نجم الدين بن عباس التيمي الجوهري سنة ٦٧٦ هـ ، وكان بعضهم أواخر القرن الماضي قسمها ثلاث دور الخ ... قلت : وقد أعادها مدرسة ووجدت بناءها الشيخ عبد السفرجلاني رحمه الله رحمة واسعة

(٣) مدرسة مستعدة أسسها طائفة من تجار دمشق وكانت قبيل الحرب وأوائله أرق مدرسة ثانوية في دمشق

(٤) قال في المخطط (٦ - ٩١) هي شمال الجامع الأموي أسسها سنجار الملل وولده شمس الدين فانتزعها الملك الناصر حسن سنة ٧٦١ هـ وأمر بمارتها فبنيت بالمعبر الأتلي وجاءت في غاية الحسن واحترقت في نشة تيمور لجدد بانيها سيف الدين جافان وخس الخاتاه بالصوفية وأضاف إليها مدرسة للأيتام وتربة الخ ... قلت : وفي هذه المدرسة تخرج أكثر رجال دمشق للمروفين اليوم على يد الشيخ عبد رحمة الله

— ما هذا يا شيخ ؟ أعورة من أبي ، وعورة من أسفل ؟
— قال : وما ذاك ؟
— قلت : ألم يكفك أن تكشف عورته ، وأنت تذكر الله ،
وتتلو كتابه ، وتظهر منه ما أمر الله بستره ، حتى تضم إلى
العورة عورة أخرى نجىء من فوق رأسه ، فتلبس القبة ؟
— فقال (ولوى لسانه وتغيث وتشدق) : ما هي بعورة في
مذهبنا

— قلت : وما مذهبك يا مولانا ؟
— قال : مذهب الامام مالك
— قلت : ذاك لمن لا يفرق بين عورة الملتحي وعورة الأبرء ،
هذا الذي في مذهب مالك ، لا مع مثل ابنك الذي لا تؤمن
معه الفتنة

وإذا أنت فهمت مذهب مالك بهذا الفهم الأعوج ، أفليس
في الناس فساق ، يأكلون عرض ابنك على مذهب مالك ،
مادام مذهب مالك حجة يحتج بها كل ماجن وفاسق ... رخم
الله مالكا وجعل افتراءكم عليه حسنات له

وزركته وقت إلى قسم الشهادة الابتدائية ، أرى التلاميذ ...
فاذا أكثرتم لا يستر إلا نصفه الأعلى ، وإذا هم متأثرون مائلون
مميلون ، فجعلت أسألم من هنا وهناك ، فقلت :
— ما شروط الصلاة ؟ من يعرفها منكم ؟
— قالوا : لا نعرفها ، درس الحياة ليس من دروس الامتحان.
فلا نحفظه

— قلت : فاذا قرأتم في السنة الماضية ؟
— قالوا : وماذا تقرأ ، عندنا ساعة واحدة في الأسبوع ...
— قلت : فلنبحث في التاريخ ، من يحدثنا عن وقعة اليرموك ،
أو القادسية ؟
— قالوا : ما قرأناها ... نحدثك عن سيرة نابليون ، ووقعة
واترلو ... هذا ما قرأناه وستقرؤه في هذا العام ...

وبعد ... فهذا طرف من الحقيقة ، وقليل من كثير من
الواقع ، نسوقه بلا تعليق !
(دمشق)
عبي الطنطاوي

ويتراحمون ، كأنهم على باب الجنة ، فكل يطمع أن يسبق إليها ،
وكلافتح الباب لواحد ، لحظته الميون بالقيظ ، ودمقته بالحسد ...
فسألت قوماً أعرفهم ينظرون كما أنظر ، ماذا هناك ؟ فقالوا : هم
المسلمون يريدون أن يسلوا أبناءهم إلى رجال اللايك ليصبوا في
قلوبهم ما يشاؤون من عقائد باطلة في الدين ، وعواطف زائفة في
الوطنية ، وزهادية في اللغة ، وكراهة للتاريخ الاسلامي ، والقومية
العربية ، ويدفعون اليهم الأموال الطائلة ، وما يشترطون بها إلا
الكفر لأبنائهم ، والزيف والاحاد ، وحبّ الغريب ، وبغض
القريب ، وما يشترطون بها إلا أعداء لهم ولأوطانهم ، يحاربونهم
في دورهم ، ويفزونهم في أخلاقهم وعقائدهم ، وهم قد انحدروا
من أسلافهم ، وخرجوا من ظهورهم ؟ أفرأيت بلاء أشد ،
وخزيًا أكبر ، من أن يحاربونا بأبنائنا ، ويأخذوا على ذلك
أموالنا ؟ ...

فقلت : لا والله ! وسرت ، أخشى أن يتمزق والله من الألم
كبدى ، فمردت على (مديسة القرير) فاذا الجوع أكثر ،
والازدحام أشد ، والمسلمون يرجون الخوري ... أن ينسى
أبناءهم القرآن ، ليحفظهم الانجيل ، ويبغض إليهم محمداً
وأبا بكر وعمر ، ويحب إليهم بطرس ولويس ونابليون ...
فسرت مسرعاً ، لا يطول بي وقوف فتحرقي نار الحزن ،
وأخضت طريقي إلى مدرستي ، أسلك إليها شارع البرلمان ،
فاذا على بلب (مدرسة الفرنسيكان) أمام الكنيسة الفخمة ،
جمهور من المسلمين لا يحصيهم عد ، يأخذون بأيدي بناتهم ،
ليدخلوهن إليها ... فعدت أدراجي إلى شارع الصالحية
فأخضت حافتي (الرامواي) إلى مدرستي في حي المهاجرين ،
في لحف جبل قاسيون

ولم يستقر بي في المدرسة مقام ، حتى أقبل علينا شيخ من
مشايخ المسلمين ، على رأسه عمة بيضاء كأنها برج ، وحول يده
كم كأنه خرج ، تشدلى منه سبحة لا يفتأ يمدح حباتها ويأب
بها ، وقد يخطئ مرة فيستريح عليها ، يجر يده ولداً ، تغذاه
مكشوقان وعلى رأسه كمة ^(١) فقلت له :

(١) الكمة هي (اليريه) وهي جنس من القببات تقع بها الناس
عندنا فألبسوها أبناءهم فصار يهون عليهم إذا كبروا لبس القبة ، فاذا
لبسوها مرادوا لها حقها ، وما حقها إلا التفرنج ، وترك الشرقية بالكلية

من تراثنا الأديبي

١ - أبو العيناء

بقلم محمود محمود خليل

أبو العيناء ونسب

أبو العيناء كاتب منشى من كتاب القرن الثالث الهجرى الحافل بأساطين الأدب وجملة العلماء ، ولكنه كاتب ضرير البصر من العباقرة الذين سجل لهم التاريخ الذكر الحسن ، أمثال أبي الصلاء المرقى وبيشار بن برد وأضرابهما ، وكان سنة الله قد جرت في الخلق أن يقتنر فقد البصر غالباً بالنبوغ والعبقرية ، وإن تعجب لسنة الله تديلاً . وإذا كان القدر قد أتاح لشاعر المرحمة فطاحل الكتاب والأدباء مدرسه ويحصونه ، ويستخلصون فلسفته من شعره ، فلا أقل من أن يدرس أبا العيناء الضرير شخص مثلى ، وفي اعتقادي أن شخصية أبي العيناء جذابة فكها كما ستري ، وهي تفضل شخصية شاعر المرحمة المعبوس للبرمة من هذه الناحية

يحدثنا الرواة أن أبا العيناء اسمه أبو عبد الله محمد بن القاسم ابن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومه من بني حنيفة من أهل النمامة ، ولحقهم سبب في خلافة النصور المباسي ، فلما صار ياسر في يد النصور اعتقه ، فهم موالى بني هاشم

مراده ونشأته

ولد أبو العيناء بالأهواز في آخر المائة الثانية للهجرة ، ونشأ بالبصرة ، وبها طلب الحديث وكسب الأدب ؛ وكان على استعداد تام للحرص على كل ما يلقى عليه فأنعمت فيه تربيته بالبصرة الممر الطيب ، وأخرجته رجلاً فذاً في الحياة ، مثقفاً إلى درجة حسنة ، ولقد هيأته تلك الثقافة إلى رواية الأخبار الطريقة ، والملاح اللطيفة ، والأشعار الجيدة ، حتى لقد بلغ به الأمر أن يمرض عليه التوكل المباسي أن يكون نديمه على شرايه ، ويتمني عليه لو يجيئه ، فيمنعه عني بصره عن الوصول إلى تلك المرتبة السنية ، وإن كان قد حاز منزلة سامية من قلب التوكل . ونرى الأصفهاني في كتابه الأغاني يجمعه من رجال سنده في جملة أخبار أنى بها في كتابه ، يقول في سنده له : أخبرني قدامة عن أبي العيناء عن العتيبي

وعني أبو الفرج فيروى لنا حديثاً طويلاً بهذا السند في أمر زواج ليل العامرية برجل من ثقيف وشعر بجنون بني طامر حين بلغه ذلك ، وسند آخر أتى به أبو الفرج . قال أخبرني محمد بن خلف ، قال حدثنا أبو العيناء عن الفحذي عن أبي صالح السمدى ، ثم عني في رواية خبر طويل يتعلق بعمر بن أبي ربيعة ، وكذلك ينقل عنه الأبيشي صاحب كتاب المستطرف ، وغير هذين المؤلفين كثير ، وعد المؤلفين لأبي العيناء من الرجال الذين يعتمد عليهم في رواية الأخبار والأشعار ما هيأه لذلك إلا نشأته بين أولئك الفطاحل من البصريين الذين تفدى بلب علومهم ، واستعنى بتأرقولهم

كان أبو العيناء إذا تردد على علماء البصرة يأخذ عنهم . فهل كان في هذا الوقت أعمى أم بصيراً ؟ يقول الرواة إنه ماعى إلا بعد أربعين عاماً من عمره ، وهو زمن ليس بالقليل يكون أبو العيناء قد أخذ فيه بحظ وافر من ممتعته ببصره ، والغريب في هذا حقاً أن الرواة يسطرون لنا أسطورة عن سبب عماء ؛ وهي أن جده الأكبر لقي على بن أبي طالب (ض) فأساء مخاطبته .

فدعا عليه وعلى والده بالمعنى ، فكل من عني منهم فهو صحيح النسب ، فهذا الخبر إن صح ينبثق منه شمع من الحقيقة يتحكم فيه قانون الوراثة ، فقد ورث عن آبائه سلاطة اللسان

قال أبو العيناء حاكياً عن نفسه : أنا أول من أظهر العقوق لوالديه بالبصرة ، قال لي أبي إن الله قد قرن طاعته بطاعتي ، فقال تعالى : « أن اشكر لي ولوالديك » فقلت يا أبت إن الله تعالى قد أمنني عليك ولم يأمنك علي . فقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم ولنا بهم » ، ولم يقف بسلطته تلك على أهله وذويه ، فإن الناس كلهم كانوا يخافون معة لسانه ، والسهام التي يقدفها في كلامه ، وتستطيع أن تجده له أخباراً كثيرة في كتب الأدب تؤيد ما ذهبتنا إليه ، فهذا موقفه مع فتى ماجن أراد العبث به مرة . فقال له يا أبا العيناء متى أسلت ؟ قال حين أسلم أهلكت وأبوك الذين لم يؤدبوك . . الخ ذلك الخبر ، وموقف آخر مع عيسى بن فرخان شاه الذي كان يتولى الوزارة وبقية فيها على أبي العيناء ، فلما عزل لقيه أبو العيناء في الطريق فسلم عليه وأحنى فقال له : والله لقد كنت أقنع بإعتاك دون بيانك ، وباحتظك دون لفظك ، فالحمد لله على ما آلت إليه حالك ، فائن كانت أخطأت فيك النعمة ، فلقد أصابت فيك النعمة ، وإن كانت الدنيا أبدت

الأدب تؤيد ما ذهبتنا إليه ، فهذا موقفه مع فتى ماجن أراد العبث به مرة . فقال له يا أبا العيناء متى أسلت ؟ قال حين أسلم أهلكت وأبوك الذين لم يؤدبوك . . الخ ذلك الخبر ، وموقف آخر مع عيسى بن فرخان شاه الذي كان يتولى الوزارة وبقية فيها على أبي العيناء ، فلما عزل لقيه أبو العيناء في الطريق فسلم عليه وأحنى فقال له : والله لقد كنت أقنع بإعتاك دون بيانك ، وباحتظك دون لفظك ، فالحمد لله على ما آلت إليه حالك ، فائن كانت أخطأت فيك النعمة ، فلقد أصابت فيك النعمة ، وإن كانت الدنيا أبدت

اعلان

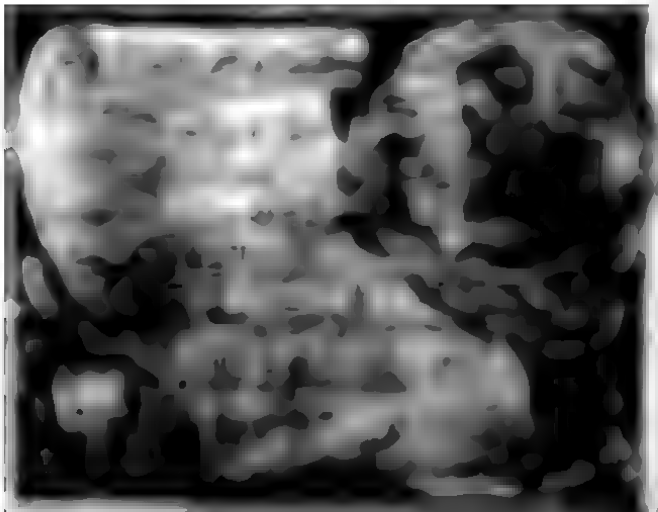
محصول أشجار الموالح المنزرعة في ٠٠ س و ١٢ ط و ٥ ف
بنقطة تجارب البساتين بالقناطر الخيرية ولا يدخل فيها المساحة
المسورة المحجوزة للمعرض

محصول أشجار الموالح المنزرعة في مساحة ١٦ س و ١ ط
و ٥ ف بمزرعة أصول الموالح بمحيرة الشعير

محصول أشجار الموالح المنزرعة في مساحة ١١ س و ٨ ط
و ٥ ف بمزرعة أصناف الموالح بمحيرة الشعير

محصول أشجار الموالح المنزرعة في مساحة ١٨ س و ٣ ط
و ٨ ف بمزرعة تجارب تسميد الموالح بمحيرة الشعير

تعلم وزارة الزراعة أنه في الساعة الثانية عشرة ظهر يوم
الأربعاء الموافق ٢٣ أكتوبر الحالى بديوان وزارة الزراعة
— بالنق — سيباع بالمزاد العلنى محصول أشجار الموالح الموضحة
عاليه ، فعلى راغبى الدخول فى الزايده المعايينه بالمرزعتين
والاطلاع على شروط البيع يومياً بهما وبديوان قسم البساتين
— بالجيزه — ماعدا أيام العطلة الرسمية — وللوزارة الحق
فى رفض أو قبول أى مزاد بدون إنشاء الأسباب



مقابهما بالاقبال عليك ، فلقد أظهرت عاسنها بالانصراف عك ،
ولله المنه إذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزهتنا عن قول الزور
فيك ، فقد والله أسأت حمل النعم ، وما شكرت حق النعم
وموقف ثالث يقفه أبو العيناء مع بعض الوزراء فى مجاسه
إذ يمدح البرامكة ويذكر سخاهم وجودهم فيقول الوزير لعنا هذا
من تصنيف الوراقين ، وكذب المؤلفين ، فقال أبو العيناء : فلم
لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير ؟ فأسكتته وعجب الحاضرون
من إقدامه عليه

فهذه الأخبار وغيرها كثير تعطينا فكرة صحيحة عن
سلطة لسانه التى استاز بها بين الأدباء المعاصرين له ، حتى كان
الوزراء وأرباب المناصب وغيرهم يخافونه ويتقنون لسانه بل
يدارونه ، وتلك اللسانه كما قلت كانت موروثة عن آباءه ، فقد
علمنا كيف أقدم جده الأكبر على علي بن أبي طالب (ض) ،
وأساء مخاطبته حتى دعا عليه ، وحتى استجيبت دعوته فيه وفى
أحفاده من بعده . ولكن أبا العيناء يعتذر عن بناءه لسانه حين
سأله التوكل على الله بقوله بلغنى عنك شر . فقال يا أمير المؤمنين
إن يكن الشر ذكرا أحسن بإحسانه ، والسوء بساءته ، فقد ذكرى الله
وذم ، فقال فى التريكة : (نعم المبد إنه أواب) ، وقال فى الدم :
(هاز مشاء بنعم مناع للخير ممتد أثيم) وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدح على الخير أهله ولم أذم الجبش اللثيم الذمما
فقيم عرفى الخير والشر باسمه وشق لى الله الماسع والفما
وإن كان الشر كفعل العقرب التى تلسع السني والذى بطيع
لا يتميز فقد سان الله عبدك عن ذلك

وفى الحق إن أبا العيناء لم يكن يسهفه على أحد من الناس إلا
على من يتعرض له بإساءة ، فإذا تجرأ على هذا شخص فويل له
من لسانه ، ولقد أجاب التوكل إذ قال له كم تمدح الناس وتذمهم
فقال ما دام الحسن يحسن والسوء يسوء ، وغرضه بهذا أنه
يعطى كل إنسان ما يستحقه من مدح أو ذم ، ولقد مدح أناسا
كثيرين ولكنه ذم أكثر ممن مدح ، وأنا وإن كنا نعتقد أن
أبا العيناء قد أسرف فى الذم اسرافا كثيرا ، فإن من الحق علينا
أن نعترف أن هناك عوامل أخرى جعلته يسرف هذا الاسراف ،
وسنعرف بعد ما هى هذه العوامل

محمد محمد خليل

(يتبع)

في الأدب الإنجليزي

٣- الكائنات الغيبية

في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيرى حماد

لم يحاول شكسبير اظهار شخصيته من خلال رواياته ، ولكن كارليل يقول عنه : « إن روايات شكسبير هي كنوزا متعددة يظهر من خلالها ما كان يدور في نفسه من الأفكار والخواطر » . ومن كل رواية من رواياته يمكننا أن نتبين الحالة العقلية التي كان فيها لما أنشأها وكتبها . ففي هملت لم يكن تفكيره محصورا إلا في البحث في الأشباح ، بينما كان في مكبث مشتغلا بالسحر والحرمة

وفي كل من روايته تتحقق النبوءات التي تنبأ بها الأشباح والساحرات . ولكن هناك ثمة فرقا ضئيلا بين كل من الروائين ، وذلك الفرق هو أن نبوءات الشيخ في هملت هي من أمور الماضي بينما هي في مكبث من أمور المستقبل وقد قال جيسن عند كلامه عن العاصفة ما يؤكد هذه النظرية ، فهو يقول : « هل كان في استطاعة شكسبير أن يجعل من جميع هذه النبوءات الخيالية حقائق راهنة إن لم يكن يعتقد الاعتقاد كله بهذه الأمور من عالم الخيالات والأشباح ؟ » (١)

وفي رواية الملك هنري الرابع ترى هتسبر (Hotsper) يمارض اعتقاد جلندور (Glendower) أن في استطاعته أن يسخر الأرواح والشياطين في مهامه الخصوصية ، فهو يتجدها بقوله : « إنك تمتد أن في إمكانك غاطبة الأرواح ولكن هذا في استطاعتي أنا وفي استطاعة أي رجل آخر . وقد قاتك يا هنا أنها لا تجيئنا عند ما ندعوها أو نخطبها »

وهذا الشك لا يلبث أن يزول عند ما يقيم جلندور البرهان الكافي فتخطبه الأرواح كأنه فرد من أفراد جنسها ؛ وهذا الاعتقاد بالخرافات كان مستويا على شكسبير لدرجة عظيمة حتى إنه كان يضع الحيين والمجانين والشمراء في مصاف من يستطيعون

الاتصال بالعالم الملوى ، وفي رواية هنري السادس نراه يجمع بين ما هو في عالم العقائد وما هو في عالم الخرافة ، وقد تلخص عقيدته في رواية هملت إذ يقول : إن هناك في السماء أموراً عدة يا هوراشيو Horatio مما ليس في استطاعة العالم البشرى فهمها أو التفكير فيها «

أو حين يقول في رواية أخرى :

« يقولون إن زمن المعجزات قد انتهى وأن لنا أن نفكر في كياننا الفلقي فقط فنحصل من الخرافات مسائل عصرية يقبلها العقل ويسينها النطق . ولما كنا نستعزى بالخوف والأشباح متمترين برداء من العلم والمعرفة فليتنا ألا نكون عرضة لخوف غير مرقية وهذا مما لا يتأتى لنا » (١)

إن في استطاعتنا أن نستنتج من هاتين الفقرتين السابقتين أن شكسبير كان يؤمن بالخرافات والنبوءات ، فهناك عدد غير قليل من الأمور التي ليس في استطاعتنا فهمها أو التعبير عنها . فلا يمكن مثلاً أنكار وجود عدد من المعجزات التي يكثر حدوثها فوق ظهر هذه البسيطة ، وما العالم الملوى إلا محيط لا يمكننا حل الغازه وتفهم معانيه . فإن من طبيعة البشر أن يكونوا خاضعين لعالم غير عالمهم بجهلونه وبخافونه ، وما المحاولات التي يقوم بها العلماء لاسناد كل ظاهرة طبيعية إلى عاملها العلمى إلا محاولات خالية من الاقناع وطريق البرهان

قلنا إن شكسبير كان يؤمن بمدد من هذه المخلوقات المنية ، وقد جمعها في رواياته محاولا اظهارها بصور رائدة من الخيال والسمو الفكرى ، وأولى هذه الأنواع وأهمها هي ظاهرة الجنيات (Fairies)

إن هذه الجنيات هي بقايا المبودات والآلهة المحلية التي كانت سائدة على القرى الانكليزية في عصر من العصور ، وما العقيدة الشائعة أن هذه الجنيات قد تسلمت من الآلهة اليونانية والرومانية القديمة إلا حديث خرافة لا أصل له من الصحة والصدق . وهناك نفر غير قليل من النقاد يرجعونهم إلى أصل بشرى ، فما من إلا ذرية سكان بريطانيا الأقدمين الذين طردهم الكلت عند استيلائهم على البلاد ، فلم يجدوا غير النباتات ملجأ يلجأ اليه ومكاناً يستطعن الميش فيه مدة حياتهم

(1) Bl is Well . . . II 3 . 1

(1) Gibson Sh Use of the Supernatural P. 6

الأسماء وهو بك (Puck) فهو رسول الملك وحامل أوامره
في الفقرة السابقة رأينا الملكة ماب بحجم صغير ، ومن هذا
يمكننا أن نستنتج أن الجنيات ذوات حجم ضئيل ، وقد وصفهن
شكسبير في رواية الماسقة بقوله « حيثما تهبط النحل أهبط أنا
وفي استطاعتي أن ألام داخل جرس من الأجرام فأغصص من
نميق الثربان والبوم » . وقد يتمكن من الظهور بحجم أسنر
فيختفي داخل كؤوس الشراب

ولا ينتظر من هذه المخلوقات الضئيلة إحداث أسرار سي
لل بشرية لولا أنها في نزاع دائم مستمر . نعم إن صفاء نيتهم كان
سبباً في خلق بعض الآلام إلا أنهم كن لا يلبث أن يزلن
ما أحدثن بهارة وروية . وكثيراً ما تراهن يشاطين المزاح فيروعن
فنيات القرية ويغفنهن فرأينا إيموجن (Imogen) في سمباين
(Cymbeline) تخاف هذه المخلوقات وتسال وسيفتها أن تلازمها
لتجسبها منهن فهي ترجوها قائلة « أرجوك حمايتي من الجنيات
ودلاج الليل »

ولكننا تراهن في الغالب يحفزهن حب الخير وعمله فيقمن
بأعمال جمة لفائدة البشرية ونفعها ولا يمدروبن هود (Robinhood)
إلا قاعلاً من فلة الخير وسريده . فهو يتلقى الأوامر من ملكه
ويعرضها على أفراد الشعب وهو يستمع إلى أيرون حين يقول :
« على كل جنى أن يقف بالباب اللين له ، وعليه أن يبارك من
في الترفة ويدعو لهم بالسلام والطمانينة » . وكثيراً ما دعت
الجنيات للأزواج الحديين السعد بالسرور والبركة وتلقن أطفالهم
بين الرعاية والمطف حتى يشبوا ولم يعرفوا الألم قط . وهامو
أيرون يقول « دعنا نذهب إلى فراش كل عروس جديدة فنباركها
فتد غلاماً يلزمه السرور وترعه العناية »

غيرى محاد

(يتبع)

ظهر حديثاً كتاب :

نقد كتاب حياة محمد

للاستاذ عبد الله القصيمي النجدي

فيه بيان الأغلاط الطيبة والدينية الواقعة في كتاب

هيكل (حياة محمد)

ويباع بتكاتب القاهرة وثمنه ٢٠ ملياً

القادمة ، وأصبحن يعرفن فيما بعد بالجنيات

وهذه المخلوقات المتجسبة كانت على أنواع عدة ، فمنها ما هو
أسود اللون ، ومنها ما هو أخضره أو أبيضه أو رماديه ، وفي
كثير من الروايات يصفهن شكسبير ، فهو يقول في موضع
من روايته (نساء ونمسور المرحات) واصفاً لاهن بقوله : لاهن
سوداوات اللون أو رماديه أو خضراواته أو بيضاواته

وكن لا يخرجن إلا في غسق الليل ، فيمقدن مجالس الناس
والطرب تحت ظلال الأشجار ، بينا أهل الأرض نيام . وفي
(الماسقة) نرى بروسبيرو يخاطب إحدى هذه الجنيات قائلاً :
« ستخرجين الليلة ويصيبك فيها برد شديد ، قد يؤدي إلى تشنج
في أعصابك فتألمين منه أشد الألم ، وستحيط بك الجنيات في
الليل فينفذن فيك ما هن من قوة »

تميش الجنيات في الحقول النعطة بالأزهار والياحين ، أو في
الأماكن الخلوية من اليابسة والماء ، سبان عندهن التلال
والوديان ، الثابت والروح ، وكثيراً ما تراهن بجوار التنايع
وصفات الأنهار ، أو في أعماق المحيطات والبحار ، وقد وصف
الشاعر أحد هذه الأمكنة بقوله : « إني لأعرف شاطئاً تهب
عليه الرياح ، وتنبث فيه أزهار الياسين والزنبق عاطلة بالورود
الجميلة المنظر » أما الملكة فهي تود الاجتماع في جميع الأماكن
التي اعتدن فيها القيا ، فهي تلتقي الأوامر على أفراد رعيها قائلة :
« لتلنق على التلال أو في الوديان ، بجانب التنايع الرضوفة ،
وهي شواطئ الأنهار الذهبية ، أو في أعماق البحار الرملية ،
وهناك تحفل برقصتنا على موسيقى الرياح الهائجة »

إن أشهر أسماء هذه الجنيات التي ذكرها شكسبير في
روايته ثلاثة أولها أيرون (Oberon) الذي يعتبر ملكاً
على هذه الطائفة من المخلوقات ، أما تيتانيا (Titania) فكثيراً
ما يطلق عليها اسم الملكة ماب (Queen Mab) وهي تعتبر باعثة
للأحلام كما يظهر من رواية روميو وجوليت : « إني لأعتقد أن
الملكة ماب كانت ملكة فهي وسيطة الجنيات وملكتهن لا يزيد
حجمها على حجر صغير أو أصبع من أصابع الرجال ، وكثيراً
ما تصبح بشكل ذرة ترتكز على أنوف الناس عند نومهم » فهي
تبث الأحلام والأخيلة اللذيذة ، ولكنها لسوء حظ البشر
في صراع دائم مع زوجها الملك أيرون ، ومن هذا الصراع قد
يتأتى ما يتأتى من الشرور والأضرار لبني البشر . أما آخر هذه

كتب ابن المقفع للأستاذ بشير الشريفي

١ - أبو محمد عبد الله بن المقفع كاتب بليغ مشهور استاز بأسلوبه الجليل السهل الرشيق ، لا أعرف بين أدبائنا القدماء والمحدثين من هو أقدر منه على الكتابة والتعبير إلا عمرو بن بحر الجاحظ . كان ماهراً في تصوير طبائع الناس وأهوائهم وميولهم ، احتوت كتبه الحكمة والأدب والأمثال ، كما احتوت قواعد عامة في الإدارة والسياسة والأخلاق

٢ - وهو فارسي الأصل اسمه في الفارسية « روزبه » ولد في « خوز » من أعمال خراسان حوالي سنة ١٠٦ هجرية . ونشأ في البصرة ، وقد ظل يدين بالمجوسية دين آبائه حقبة من الزمن ، ثم اعتنق الإسلام وقد بلغ السابعة والعشرين من عمره ، قال الهيثم بن عدي يذكر قصة إسلامه : « جاء ابن المقفع إلى عيسى بن علي عم المنصور ، فقال له : قد دخل الإسلام في قلبي وأريد أن أسلم على يدك ، فقال له عيسى : ليكن ذلك بحضور من القواد وجوه الناس ، فإذا كان الفد فاحضر ؟ ثم حضر طمام عيسى عشية ذلك اليوم ، فجلس ابن المقفع برزهم على عادة المجوس فقال له عيسى : أنزهم وأنت على عزم الإسلام ؟ قال : أكره أن أبيت على غير دين »

٣ - وكما اشتهر عبد الله أنه كاتب كبير ، فقد اشتهر أنه مترجم قدير لا تلمح في ترجمته أثر المعجمة ، فهو أول من اعتنى في الإسلام بترجمة الكتب القيمة ، ترجم كتب أرسطو الثلاثة في المنطق ، ونقل كتاب « التاج في سيرة أوشروان » ، وقيل إن كتاب « كلیلة ودمنة » كان باللغة الفارسية فنقله إلى اللغة العربية . قال الباقلافي : « ابن المقفع ينحط إذا كتب ويعلو إذا ترجم ، لأن له في الأولى عقله وفي الثانية كل المقول »

وقال الجاحظ : « كان ابن المقفع مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة »

٤ - لابن المقفع من الكتب كتابا « الأدب الصغير والكبير » ، وكتاب « الدرة البقية » ، وكتاب « التاج في سيرة أوشروان » ، وكتاب « كلیلة ودمنة » ؛ وكتب في المنطق . وهذه الكتب منها الموضوع ومنها المنقول ، فكتابا

« الأدب الصغير والكبير » و « الدرة البقية » من تأليف ابن المقفع ؛ أما كتب المنطق وكتاب « التاج » فهي منقولة عن الفارسية التي يجيدها الكاتب ابادة عجيبة ، واختلاف أهل الأدب في حقيقة كتاب « كلیلة ودمنة » ، فمنهم من قال إن ابن المقفع هو الذي وضعه ، وأنه نحلله الهند القدماء لترغيب أهل زمانه بمطالمة ، ومنهم من قال إنه لم يضعه ، وإنما كان باللغة الفارسية ونقله إلى العربية

٥ - وبعد فأرى أن أحدث القارى عن أشهر كتب ابن المقفع وأكثرها متعة وقيمة ، وهي كتاب « الدرة البقية » وكتاب « الأدب الصغير » وكتاب « كلیلة ودمنة » ، وسيتعسر بحثي على تعريف القارى بهذه الكتب تزييفاً إجمالياً ، ثم على عرض أجزائها من صور أدبية واجتماعية مع شرح موجز :

٦ - الدرة البقية التي لم يصنف في فيها مثلها تقع في ثمانين صفحة ، وتشتمل على فصلين كبيرين ، الأول منهما خاص بعلم السياسة ويحتوي على آراء قيمة حكيمة في إدارة الحكومة ، وواجبات الحاكم ، وعلى وصف دقيق لما يجب أن يكون عليه الأمير من القوة والعدل ، والبطش والحلم ، والثبوت والعلم ؛ والثاني خاص بعلم الأخلاق ، يشتمل على قواعد دقيقة في التربية والاجتماع ، وعلم النفس وعلى نظرات صادقة في الناس وشؤونهم حل ابن المقفع في « درته البقية » مسألة كبيرة ناخص في كيف يتسنى للأمير أن يحفظ ملكه ويثبت سلطانه ، نقول : إن هذه المسألة قد لفتت نظر كاتب فلورنسي يدعى « مكيافيلي » في القرن الخامس عشر ١٤٦٩ - ١٥٢٧ ، فوضع كتاباً سماه « الأمير » شرح فيه هذه المسألة شرحاً لا يكاد يختلف في أصوله ومعانيه عن شرح ابن المقفع ؛ وكانت خبة عظيمة حول الكتاب في الدوائر العلمية والسياسية الأوروبية ، وكان أن أصبح مكيافيلي بفضل كتابه الذي اعتبره الفرييون أول كتاب في العلم السياسي ، من أعظم رجال التاريخ ؛ ولما كان المجال لا يسع الكلام بإسهاب اكتفى بقولي : إن من يطلع على « الدرة البقية » يرى أن ابن المقفع بحث في أصول سياسة الملك بحثاً مستفيضاً متمسكاً ، وإلى القارى صوراً من « الدرة البقية » :

٧ - قال ابن المقفع :
أحق الناس بالتوقير الملك الحليم العالم بالأمور وفرض الأعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والمعالجة والأناة الناظر

في الأمر يومه وغده وعواقب أعماله

اعلم أن الملكاتان : ملك حزم وملك هوى ، أما ملك الحزم فانه يقوم به الأمر ولا يسلّم من الطعن والتدخّل وإن يضر طمن القليل مع حزم القوى ، وأما ملك الهوى فقلب ساعة ودمار دهر لا يضيمن الرأى الثبوت عند ما يقول وعندما يعطى وعند ما يفعل ، فإن الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، وإن العطية بعد المنع أجل من المنع بعد الاعطاء ، وإن الاقدام على العمل بعد التأني فيه أحسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه ؛ وكل الناس محتاج إلى الثبوت ، وأحوجهم اليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وقطعهم دافع ، وليس عليهم مستحث

إن الرأى لا حمل له بالناس إلا ما قد علم قبل ولايته ، فأما إذا ولي فكل الناس يلقاه بالترين والتصنع ، وكلهم يحتال لأن يثني عليه عنده بما ليس فيه

لا يمتنع الرأى وإن كان بلغ الرأى والنظر من أن ينزل عنده كثير من الأشرار بمنزلة الأخيار ، وكثير من الخائفة بمنزلة الأبناء ، وكثير من القفرة بمنزلة الأوفياء ، وينطى عليه أمر كثير من أهل الفضل الذين يصنون أنفسهم عن التصنع والتحلل

لتمرق وعيتك أبوابك التي لا يثال ما عندك من الخير إلا بها ، والأبواب التي لا يخافك خائف إلا من قبلها

احرص الحرص كله على أن تكون خيراً بأمور عمالك فإن الشيء يفرق من خبرتك قبل أن تصيبه عقوبتك ، وإن الحسن يستبشر بملك قبل أن يأتيه معروفك

ليعلم الرأى أن الناس يصفون إلى الالة بسوء العهد ونسيان الود ، فليكد بعض قولهم وليطال عن نفسه وعن الملوك صفات السوء التي يوصفون بها

لا يولن الرأى بسوء الظن لقول الناس ، وليجعل الحسن الظن من نفسه نصيباً موفوراً يروح به عن قلبه ويصل به أعماله من محب السلطان لم يزل مروجاً . فساد الملك أضرب على الرعية من جلب الزمان

٨ - « الأدب الصغير » رسالة قيمة في علم تهذيب الأخلاق ، تقع في أربعين صفحة كتبت بأسلوب جميل ساحر ، أسلوب فيه حلاوة وعليه طلاوة ، أسلوب تتجلى فيه الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة والماني التي إذا طرقت المصدور عمرتها ، وهي ممتلئة بأصدق الأنباء عن الروح الانسانية تبرهن على مقبرة ابن المقفع العجيبة في تصوير طبائع الناس قال :

على العاقل ألا يحزن على شيء فانه من الدنيا أو تولى وأن ينزل ما أصاب من ذلك ثم انقطع عنه منزلة ما لم يصب ، وينزل ما طلب من ذلك ثم لم يدركه منزلة ما لم يطلب وعلى العاقل أن يجنب عن الرأى الذي لا يجد عليه موافقاً وإن ظن أنه على اليقين وعلى العاقل إن اشتبه عليه أمران فلم يدر في أيهما الصواب أن ينظر أهواهما عنده فيحذره

من نصب نفسه للناس إماماً في الدين فليعلم أن يبدأ في تعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة والرأى واللفظ والأخذان . معلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال والتفضيل من معلم الناس وهؤدبهم الناس إلا قليلاً ممن عصم الله مدخولون في أمورهم ، فقاتلهم باغ ، وسامهم عياب ، وسائلهم متمنت ، وعبيسهم متكلف ، وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل ، وموعوظهم غير سليم من الاستخفاف ، بترقبون المدول ، ويتماطون القبيح ، ويتمايتون بالفخر

لا تفسك صغر شأن امرئ من اجتناء ما رأيت من رأيه صواباً ، واسطفاء ما رأيت من أخلاقه كريماً ، فإن الذواؤة الفاتكة لا تنان لهوان غائصها الذي استخرجها

أعدل المبر أن تقيس الناس بنفسك ، فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك

ومن ودع الرجل ألا يقول ما لا يعلم ، ومن الأرب أن يثبت فيما يعلم

إقدام المرء على ما لا يدري أصواب هو أم خطأ جاح ، والجماح آفة العقل

شمول الذكر أجل من الذكر التميم لا يوجد الفخور غموراً ، ولا القنوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ، ولا الكريم جسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا للول ذا اخوان

ما التبع والأعوان والصديق والحشم إلا للمال ، ولا يظهر المروءة إلا للمال ، ولا الرأى والقوة إلا للمال ؛ ومن لا إخوان له فلا أهل له ، ومن لا ولد له فلا ذكر له ، ومن لا عقل له فلا دنيا ولا آخرة له ، ومن لا مال له فلا شيء له . والفقر داعية إلى صاحبه مقت الناس ، وهو مسببة للعقل والمروءة ، ومنهبة للعلم والأدب ، ومخذلة للهمة ، وبجعة للبلايا . ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بداً من ترك الحياء ، ومن ذهب حياؤه ذهب

أبي وردة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبي قرة ، وحماد بن عمار ،
وعلي بن خليل ، وحماد بن أبي ليلى الراوية ، وابن الزرقان ، وعمار
ابن حمزة ، ونجیل بن عفو ، ويشار المرعي ، ندماء يجتمعون
على الشراب وقول الشر ولا يكادون يفترون ، ويهجو بعضهم
بعضاً هزلاً وعمداً ، وكلهم منهم في دينه »

تقول إن تحت رواية الجاحظ كان هؤلاء الشعراء والأدباء
الذين كانوا يجتمعون على الشراب لقول الشر ولا يكادون
يفترون هم الذين يملكون الطبقة الخاصة من الناس التي ذكرها
ابن المقفع في قوله « وعلى الماقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين
ويلبس لهم لباسين مختلفين طبقة من العامة يلبس لهم لباس
اتقياض وأحجاز وتحرز وتحفظ في كل كلمة وخطوة ، وطبقة من
الخاصة يخلع عندهم لباس التشدد ويلبس لباس الأناة والعلف
والبذلة والمفاوضة ولا يدخل في هذه الطبقة إلا واحد من ألف
كلهم ذو فضل في الرأي وثقة في اللذة وأمانة في السر ووفاء بالأخاء
١٢ - مات ابن المقفع باكراً ، لم يتع بالحياة ، كان عمره
سنة وثلاثين عاماً يوم قتله ، ثم لم يمض السنين بل قتل حرقاً
بالتار . يا لهول الجريمة !

أجمع مترجو ابن المقفع على أن سبب مقتله كتابته أماناً
لبيد الله ^(١) عم النصور قال فيه :

« . . . ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله ، فقتلوه
طوالق ، ودوايه حبس ، وعبيده أحرار ، والسلمون في حل
من بيته » ، فلما وقف عليه النصور عظم عليه ذلك وقال : من
كتب هذا ، فقالوا له : رجل يقال له عبد الله بن المقفع يكتب
لأعمالك ، فكتب إلى سفيان بن معاوية بن مهلب بن أبي صبرة
متولى البصرة بأمره بقتله ، ذكروا أن سفيان كان شديد الخلق
على ابن المقفع لأنه كان يعيش به وينال من أمه ولا يسميه إلا
بأب الفعلة »

وإنها لحسارة لا تموض ، وإنها الجريمة لا تقتفر ، ورحم الله
ابن المقفع

بشير التريفي

شرقي الأردن

(١) هو عبد الله بن علي ، خرج طي النصور بالعلم والجزيرة فيبر
عليه أيا سلم الحراسي فبرز جموعه وفر عبد الله إلى البصرة محتباً بأخوه
اسماعيل وسليمان ، نطلبه النصور منها فلم يجيباه إلا بأمان لبيد الله يملان
شروطه ، فقبل ذلك النصور ، فأمر ابن المقفع كاتبهما أن يمرر أماناً
بصحب في شروطه ، فكان أن كتب هذا الأمان الذي أنقذه حياته

سروره ، ومن ذهب سروره مقت ، ومن مقت أودى ، ومن
أودى حزن ، ومن حزن ذهب عقله واستنكر حفظه وفهمه ،
ومن أصيب في عقله وفهمه وحفظه كان أكثر قوله وعمله فيما
يكون عليه لاله

(٩) « كلية ودمنة » كتاب يبلغ يتضمن الجد والمزل ،
واللهو والحكمة ، ألفه بيدبا الفيلسوف الهندي رأس البراهمة ،
ونقله إلى العربية عن الترجمة الفارسية ، في صدر الدولة العباسية
(عبد الله بن المقفع) رأس الكتاب ، وقيل إن ابن المقفع هو
الذي وضعه وأنه محله الهند القدماء لترغيب أهل زمانه في مطالعة
كتب الحكمة والفلسفة التي لم يكونوا يأبهون لها إلا إذا أسندت
للقدماء ، وهو موضوع على ألسن البهائم والسباع والطير ليكون
ظاهراً لهم للموام وباطنه رياضة لبقول الخامسة ، وهو معروف
متداول فلا داعي للإفاضة في بحثه

١٠ - وتساءل : كيف كانت صورة عبد الله بن المقفع
وهيئته ؟ كيف كان شكله وطراز جسمه ؟ هل كان جليلاً ظريفاً
قوياً أم على العكس قبيحاً دميماً ضعيفاً ؟ ماذا كان يلبس ؟ هل
كان يهتم بنظامه ثيابه وحسن هندامه ، كيف كانت حياته الخاصة
كيف كان يعيش مع نفسه وأهله وخلصائه ؟ هل كان يميل إلى
المرح والمداخلة والمزل ؟ هل أحب ؟ ما هي قصة حبه ؟ هل كان
له زوجات وأولاد ؟ ما درجة اتصاله بأهله وذوي قريته ؟ أي متاع
الدنيا آثر عنده ؟

هذه أسئلة عظيمة الفائدة المثمرة لا بد وأن تمرض لذهن من
يود أن يعرف ابن المقفع ويفهم أدبه ، ولكن أليس عجيباً ألا
نستطيع أن نجيب على سؤال واحد منها وأن نكون على جهل
تام بحياة أدبنا الخاصة ؟

ليس الذنب في ذلك ذنبنا ، وإنما هو ذنب مترجي أدبنا القدماء
فهم قل أن اهتموا أثناء ترجمتهم لأدب أو شاعر بحياة الشخصية
الخاصة ثم بحياة عيطة ، هذه الحياة التي تكون الأدب وتطبع
آثاره الأدبية البيانية بطابع الشخصية والفاتية

١١ - كل ما ذكره المترجون عن حياة ابن المقفع الخاصة
كان جملة واحدة أوردوها عرضاً أثناء تحديثهم عن شعوره الديني
أوردوها صاحب الأغاني نقلاً عن الجاحظ قال : كان ابن الجباب
ومطيع بن إياس ، ومنقذ بن عبد الرحمن الحلال ، وحفص بن

١٢ - شاعرنا العالمي

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعدي

فتره الشعرية : تناول أبو العتاهية لأول أسره من فنون الشعر النزل والدح والرناء والمجاء والعتاب والاستعطاف وما إلى ذلك مما كان يتناوله غيره من الشعراء ، ثم استفرغ بعد ذلك جل شعره في الزهد والوعظ والحكمة والمثل ، فأعطى الشعر العربي من ذلك ثروة عظيمة كانت تنقصه

فأما غزله فكان يذهب فيه مذهب الشعراء المشاق بكميل بثينة وغيره ، وإن كنا قد ذكرنا في ترجمته أنه لم يكن صادق المشق مثلهم ، ولكن سجيته التي كانت تنازعه من أول أمره إلى قول الزهد ، لم تكن لترضى له أن يذهب في غزله مذهب فساق الشعراء كإبراهيم القيس وعمر بن أبي ربيعة وغيرهما ، فجاء غزله عفيفاً بعيداً عن الفحش والفجور ، ليس فيه إلا شكوى الصبابة وألم الصد وعذاب الفراق ونحو ذلك من وجدانات أهل المشق ؛ ولعل هذا أيضاً مما كان يرفض المهدي والرشيدي في غزل أبي العتاهية ويحملهما بنضبان عليه إذا أراد أن يتركه إلى الزهد ، مع أنهما كانا لا ينظران إلى غزل أحد غيره بتلك العين التي نظرا بها إلى غزله ، وأمر المهدي مع بشار في غزله معلوم ، وكذلك أمر الرشيد مع أبي نواس ؛ وقد شاع النزل بالذكري في عصر أبي العتاهية فسان نفسه عنه ، ولم يدنس شعره به ، وهذه شهادة مسلم بن الوليد في غزل أبي العتاهية - ذكر أبو الفرج أن مسلماً قال : كنت مستخفاً بشعر أبي العتاهية فلقيني يوماً فسألني أن أسير إليه ، فجاءني بلون واحد فأكلنا ، وأحضرني تمرًا فأكلناه ، وجلسنا نتحدث ، وأنشدني أشعاراً لي في النزل ، وسأله أن ينشدني ، فأنشدني قوله :

بأنه يا قرة العينين زوريني قبل للمات وإلا فاستزيريني
إني لأعجب من حبِّ يقربني ممن يباعدني منه ويعصيني
أما الكثير فما أرجوه منك ولو أطمعتني في قليل كان يكفيني

ثم أنشدني أيضاً :

أخلاقى بي شجو وليس بكم شجو ...
وكل امرئ عن شجو صاحبه خلوا
وما من عجبٍ قال ممن يحبه
بليتُ وكان الزحُّ بدَّه بليتي
فأحببت حقاً والبلاءُ له بدو
وطلقتُ من يزهو على قهبراً
وأبتُ الهوى جمر القضا غير أنه
على كل حال عند صاحبه حلوا
ثم أنشدني :

خليلي مالي لا تزال مضرتني
بصاحب فؤادي حين أرمى ورميتني
تعود إلى محرمي ويسلم من أرمي
صبرت ولا والله ما بي جلادة
ألا في سبيل الله جسمي وقوتي
تُمدُّ عظامي واحداً بعد واحد
كفالك بحق الله ما قد ظلمتني
فهذا مقام المستجير من الظلم
قال مسلم : فقلت له لا والله يا أبا إسحاق ما يبالي من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا ؛ فقال يا ابن أخي لا تقولن مثل هذا ، فإن الشعر أيضاً من بعض مصابيد الدنيا ، وأما مدحه فقد كان مدحاً تجارياً لم ينطأ فيه عن عقيدة ، بل كان يمدح به قومًا يخالفونه في عقيدته الشيعية ، ولا يقصد من ذلك إلا الحصول على المال الذي ألبح الشيعة أخذه من التملك لأنه حق لهم ، فسار أبو العتاهية في مدحه بقدر ما يصل به إلى هذا الغرض ، ولم يدخل به في الخصومة السياسية التي كانت قائمة في عصره بين الباسيين والموليين ، وذهب فيها كثير من الشعراء مذاهب باطلة ، ودفعهم حب مال الباسيين إلى أن يجملوا حقهم في ملك المسلمين بالارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يشاركون فيه الموليين ولا غيرهم من المسلمين ، وفي هذا يقول قائلهم :

أني يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وروثة الأعمام
ولم يفرح الباسيون بشيء فرحهم بهذه الفكرة الخاطئة ، فمدوها أكبر نصر لهم على خصومهم من الموليين ، وأغدقوا على من ابتكرها لهم شعراً مالا يحصى من الأموال ، وحملوا الشعراء على التفتن فيها ، وتصريف الشعر في تأييدها ونشرها

وكان على ما ذكرنا في ترجمته يقتصر التشبيب أمام المدح ولا يطوله حتى يكون كأنه هو مقصوده من شعره ، كما كان يفعل ذلك غيره

وكان ابن الأعرابي يتمصب لأبي التماهية فتقصه رجل أمامه وروى شعره بالضعف ، فقال له : الضميف والله عقلتك لا شعر أبي التماهية ، لأبي التماهية تقول إنه ضميف الشعر ؟ فوالله ما رأيت شاعراً قط أطبع ولا أقدر على بيت منه ، وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السحر ؛ ثم أنشده قصيدته في الزهد :

قَطَمْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ

وَحَطَمْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطَى رِجَالِ

ثم قال للرجل هل تعرف أحداً يحسن أن يقول مثل هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله جميلني الله فداءك ، إنني لم أردد عليك ما قلت ، ولكن الزهد مذهب أبي التماهية ، وشعره في المدح ليس كشعره في الزهد ، فقال : أفليس الذي يقول في المدح :

وَهَرُونَ مَاءَ الْمُزْنِ يُشْقِي بِهِ الْعَصْدَى

إذا ما الصدى بالرين قصفت حناجره

وأوسطبيت في قريش لبيتته وأول عمر في قريش وآخره وزحف له تحكي البروق سيوفه

وتحكي الرعود القاصفات حوافره

إذا حُمِيَتْ شمسُ النهار تضاحت

إلى الشمس فيه يعضه ومثاقفه

إذا تكيب الإسلام يوماً بشكبة فهرّون من بين البرية نازيه ومن ذا يفوت الموت والوَيْتُ مُدْرِكُ

كذا لم يفت هرون صدق ينافره

قال : فتخلص الرجل من شر ابن الأعرابي بأن قال له : القول ما قلت ، وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه :

وأما رثاؤه فكان يذهب فيه مذهبه في الزهد والحكمة ، لقرب مقامه من مقامهما ، ومن ذلك رثاؤه في علي بن ثابت ، وكان صديقاً له ، وبينهما مجاوبات كثيرة في الزهد والحكمة ، فخره أبو التماهية وهو يجود بنفسه ، فلم يزل ملتزماً حتى فاض ، فلما شُدَّ لحياه بكى طويلاً ، ثم أنشد يقول :

فلم يصل مدح أبي التماهية للمباسبين إلى هذا الحد ، ولم يبع عقيدته بأموالهم فيفضلهم على العلويين أو يذمهم من أجلهم ، بل كان على حبه للعال ويخله به يعرف كيف يرفضه إذا كان في قبوله إهانة له ، أو خطأ من كرامته ؛ ويمكننا أن نسوق على ذلك شواهد كثيرة ، ذكر أبو الفرج أن أبا التماهية كان منقطعاً إلى صالح المسكين ، وهو ابن أبي جعفر المنصور ، فأصاب في ناحيته مائة ألف درهم ، وكان له ودوداً وصديقاً ، فجاء يوماً وكان له في مجلسه مرتبة لا يجلس فيها غيره ، فنظر إليه قد قصر به عنها ، وعاوده ثانية فكانت حاله تلك ، ورأى نظره إليه ثقيلًا ، فنهض وقال :

أَرَانِي صَالِحٌ بُغَضًا فَأَظْهَرْتُ لَهُ بُغْضًا

وَلَا وَاللَّهِ لَا يَنْتَ ضَ إِلَّا زِدْتُهُ نَقْضًا

وَالْإِلَّا زِدْتُهُ مَفْطًا وَإِلَّا زِدْتُهُ رَفْضًا

أَلَا يَا مُفْسِدَ الْوُدِّ وَقَدْ كَانَ لَهُ مَحْضًا

تَنَضَّبَتْ مِنَ الرَّيْحِ فَمَا أَطْلَبُ أَنْ تَرْضَى

لَنْ كَانَ لَكَ الْمَالُ إِذْ مَضَى إِنْ لِي عِرْضًا

فنى الكلام إلى صالح فتأدى بمداوته فقال فيه :

مَدَدْتُ لِمَرْضٍ حَبْلًا طَوِيلًا كَأَطُولِ مَا يَكُونُ مِنَ الْحَبَالِ

حَبَالٌ بِالصَّرِيعَةِ لَيْسَ تَفْنَى مَوْسِلَةً عَلَى عَذِّ الرِّمَالِ

فَلَا تَنْظُرْ إِلَيَّ وَلَا تَرُدَّنِي وَلَا تَقْرَبْ حَبَالُكَ مِنْ حَبَالِي

فَلَيْتَ الرَّدَمَ مِنْ يَأْجُوجَ يَبْنِي وَبَيْنَكَ مُنِيَةً أُخْرَى اللَّيَالِي

فَكَرَّشْتُ إِنْ أَرَدْتُ لَنَا كَلَامًا وَقَطَعْتُ حَجَفَ رَأْسِكَ بِالْقِتَالِ

وذكر أيضاً أنه قدم يوماً منزل يحيى بن خاقان ، فلما قام بأدب

له الحاجب قانعرف ، وأناه يوماً آخر فصادفه حين نزل فلم

عليه ودخل إلى منزله ولم يأذن له ، فأخذ قرطاساً وكتب إليه :

أَرَأَيْكَ تَرَأَى حِينَ تَرَى خَيَالِي فَمَا هَذَا بِرُوءِكَ مِنْ خَيَالِي

أَمَلِكُ خَائِفٌ مِنِّي سَوَالِي أَلَا فَلَكَ الْأَمَانُ مِنَ السَّوَالِ

كَفَيْتُكَ إِنْ حَالُكَ لَمْ يَمِلْ لِي لِأَطْلُبُ مِثْلَهَا بِدَلَالِي

وَلِنْ الْيَسْرِ مِثْلَ الْيَسْرِ عِنْدِي بِأَيُّهَا مُنِيْتُ فَلَا أَبَالِي

ولاشك أن هذه النفس في إيائها وعقيدتها المخالفة لعقيدة

ممدوحها لو كانت لتبرأ أبي التماهية لصب عليها في الشعر مقام

المدح ، ولكن طبع أبي التماهية في الشعر سهل عليه كل شيء ،

وجعله يأتي في ذلك من المدح بما أَرْضَى ممدوحه قابلاً الرضا ،

إن والبة بن الحباب قد هجاني ، ومن أنا منه ؟ أنا جرار مسكين
— وجمل يرفع من والبة ويضع من نفسه — فأجب أن تكلمه
أن يسلك عني ، فكلّم أبي والبة فلم يقبل ، وجعل يشتم أبا الناهية
ففرّكه ، ثم جاءه أبو الناهية فسأله عما فعل في حاجته ، فأخبره بما
رد عليه والبة ، فقال لأبي لي الآن عليك حاجة ، قال وما هي ؟ قال
لا تكلمني في أسره ، فقال هذا أول ما يجب لك ، فقال أبو الناهية
يهجوه :

أوالب أنت في العرب كمثل الشيص في الرطب
كلم إلى الموالى الصـ يد في سعة وفي رحب
فأنت بنا كعمرو الد أشبه منك بالعرب
غضبت عليك ثم رأيت وجهك فأنجلي غضبي
لما ذكرتنني من لوني أجنادي ولون أبي
فقل ما شئت أقبله وإن أظنبت في الكذب
لقد أخبرت عنك وعن أهلك الخالص العرب
فقال المارفون به مصاص غير مؤثب
أنا من بلاد الروم مستحيراً على قنب
خفيف الحاف كالصمصا م أطلس غير ذي ثشب
أوالب ما دهاك وأنت في الأعراب ذو نسب
أراك ولدت بالعرب خ يا ابن سيائك الذهب
فجئت أقيش الخدين أزرق عارم الذنب
لقد أخطأت في شمتي فخبّرني ألم أرب

وقال فيه أيضاً غير ذلك ، فبلغ والبة ، فجاء أبي فقال قد كلتني
في أبي الناهية وقد رغبت في الصلح ، فأخبره بما أخذه أبو الناهية
عليه ، فقال له والبة فما الرأي عندك ؟ قال تنحدر إلى الكوفة ،
فركب زورقا ومضى من بغداد إلى الكوفة ، وكان هجاء والبة
فيه ضعيفاً سخيفاً لا يقوى على هذا الهجاء ، وفيه من الفحش
ما نرى بضمه ليلم بمد ما بين الهجاءين :

قل لابن بائع القصار وابن الدوايق والجرار
.....

تهجو مواليك الأولى فكوك من ذل الأسار
هذا مثل من هجوه وإن الشعر لأعلى مقاماً من هذا القبح
الذي أتى به ، وإنه لينال من نفسه بذلك قبل أن ينال من
بهاجية عبر الخصال الصغرى

يا شريك في الخير قرّ بك إلا هـ فتم الشريك في الخير كُنتا
قد لم يرحى حكيت لي عصص الموت فخركتني لما وسكتا
ولما دفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحر بكاء ويردد هذه
الآيات :

ألا من لي بأنك يا أخياً ومن لي أن أبك ما لدنيا
طوتك خطوب دهرك بمد نشر

كذلك خطوبه نشراً وطياً

فلو نشرت قواك لي النابا شكوت إليك ما صنعت إلينا
بكيتك يا على بسمع عيني فما أغنى البكاء عليك شيئاً
وكانت في حياتك لي عطات فأنت اليوم أوعظ منك حياً
وهذه المعاني كما قال أبو الفرج أخذها كلها من كلام

الفلاسفة لما حضروا الاسكندرية ، وقد أخرج ليدفن ، قال
بعضهم : كان الملك أمس أهيب منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ
منه أمس ؟ وقال آخر : سكت حركة الملك في ليلته ، وقد حرّكنا
اليوم في سكونه جزءاً لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما
أبو الناهية في هذه الأسمار

وذكر أبو الناهية أنه ماتت بنت للمهدي ، لحزن عليها
حزناً شديداً حتى امتنع عن الطعام والشراب ، فقالت أيتها
أعزبه بها ، فوافيته ، وقد سلا وخجك وأكل وهو يقول :
لا بد من العير على ما لا بد منه ، ولئن سلونا عن فقدها ، ليسلونا
عنا من يقدها ، وما يأتي الليل والنهار على شيء إلا أبلياء ،
فاستأذنته في إنشاد ما قلت فأذن :

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما وكل غصن جديد فيهما يال
يا من سلا عن حبيب بمد مبيتيه

كم بمد موتك أيضاً عنك من سال
كأن كل نعيم أنت ذائقه من لذة البيش يحكي كلمة الآل
لا تلمن بك الدنيا وأنت ترى ما خلت من عبر فيها وأمنال
ما حيلة الموت إلا كل صالحة أو لا لما حيلة فيه لحتال
وأما الهجاء فكان أبو الناهية يرفع عنه ولا يذوله إلا مضطراً ،

فاذا قاله لم يفحش فيه كغيره ، وكانت بينه وبين والبة بن الحباب
مهاجاة حينما قصد والبة بغداد وهو كوفي مثله ، فحسه على أن
بلغ في بغداد ما لم يبلغه ، وأخذ بهجوه ويذمه . وقد حدث محمد
ابن عمر الجرجاني قال : رأيت أبا الناهية جاء إلى أبي فقال له :

أمام المشنقة

[على لسان أحد الثبائن المحكوم عليهم بالشنق لجرمة أنهما]
للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

قفا على الفلكُ بعد قليلٍ أهلكُ
ما باختيارى فى شبا بى للحياة أترك
أين مضت صحابى وايةً قد سلوكوا
من ذا إذا متُّ مَيِّتٌ كينى ومن ذا يضحك
قد نصبوا لى شركا فما عدائى الشرك
ما بال شمسى أخذت عند الشروق تدلّك
قد امتوى ضوء الضحى فى أعينى والحلك
لم أجن لو كانت يدُ الـ حقدور لا تشرك
بالدم قد خضب كفى فى القدرُ المُحرك
قد أفرحَ التظاّر بى أن دى ينسك
ازدحموا حولى ولا أناس منهم أسكوا
ليصروا كيف حيا فى جملها ينبتك
ما هى إلا رجفة وبسدها لا أحرك
أفى قلوبهم على عند موتى حاك
إنى إنسانٌ له أخطاؤه لا ملك
كم لى من مثل لو أن (م) مره ينسك
خذوا حياتى إنها أئمن ما أملك
لا تحبسوا الرحمة عمّ ن قد قضا أو أشكوا
ولو تجسم الأسى لكان دمعاً يفسك

كل البقاع للحيا ة فوقها مُعترّك
أما الحياة فهى إن ولت فلا تُستدرك
والموت بالانان إلا مرة لا ينسك
إذا أنت ساعته فكل شى مهلك

تعمده الحياة را موت له يُفكك
قد يُدفن المرء على أخيه ثم يُترك
بعد البلى تمانقُ الـ عظام أو تشنك
إن البلى لكل من حواه قبرٌ يمسك
نهاره وليله كلاهما مُحلولك
مشنتى هى التى أودها وأفسرك^(١)
وعلى إذا ركبها فلا أرتبك
فأعنى كائنى أدركتُ مالا يُدرك
إنى ملكتُ مسلكا صعباً وبئس المسلك
والحق خير ما يقو ل المرء حين يهلك
هذا جزاء مجرم بالأبرياء ينسك
بفرد جميل صدقي الزهاوي

(١) أمّت

سر الحياة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

عبء لفر الحياة يا قلب ما أذ
لفر عيش ولفر عقل وما أذ
كلما رمت بالمجاهل خبراً زادك العيش بالمعالم جهلا
عبث العيش كلما قال لاس قد خربت الأنام يا قلب هل تند
وحياة بالسر أحجى حياة خدعة العيش أن يلوّح بالسـ
تزيد الحياة حسناً ومأموراً مثلاً حُجبت فتاة ليرجى
لو بدت عاطلاً لما خلبت لـ كم سعيد يلهو ويعمل لا يند
وعلى غدرها أحب حياة مدح عبثاً يُحصى عليك وثقلا
جب لفرأ يروم للفر حلا زائدك العيش بالمعالم جهلا
رأعدت السؤال جداً وهزلا شد سراً من بعد ذاك وسؤلا
هى أحلى مما تراه وأعلى ر إذا عاف عائشه وملاً
لا وتقوى الحياة نشأ وكلا سر حسن لها استسر وقلاً
بأ ولا استعبدت عشيقاً وخلاً بـ ولا استعبدت عشيقاً وخلاً
قض فعلاً وليس ينكر قولاً وجهاها فى الحب أهلاً ونسلاً

من عاش في كل يوم عجزاً أصاب الخلودا
لا أبتنى العمر يوماً مرَّ جسد مردودا
أريد في كل يوم أروء هذا الوجودا
في كل يوم أراي في عالم مولودا
أريد أكشف معنى في كل يوم شرودا
منه أغذى شعوري وأستجِد قصيداً
فخرى أبو السعود

عرش الجمال

[إلى من مصر ، ملكة الجمال الداني]

للاستاذ محمود غنيم

ياربّة الملك الذي انتظم الورى ملك البسيطة ما أتيح لقبصرا
خضعت لحكمك دولة عزّت على ملك البسيطة ما أتيح لقبصرا
« دَارَا » وأعياء عرشها « الاسكندرا »
لك دولة لم ترهني من أجلها حدّ الحسام ولم تقودي عسكرا
لتودّع الأسد النضاب عروشها قد أصبح الملك التوجّ جودرا
من كان يملك الرقاب فاعما عرش الجمال على القلوب تسيطر
كم عاهل ذي سطرة لم يفتح قلباً وإن فتح المدائن والقرى
ملك الفراعنة الشداد أعدته بيد خضبة وطرف أخورا
ما لها في مصر تحكم عالماً والبيت ينجز أن يعيش محررا

ملكت يمينك كل صدر ناهد وأطاع أمرك كل خد أحمر
كم كاعب ملكت قلوباً أصبحت أمة تباع إذا أزدت وتشتري

كم تحت حكمك ذات لظن إن دناء ترك المهنت لا يسوى خنجرا
جند أغر من الحسان الحور لو لاقت أسطولا به لتقهقرا
أقسمت ما بين الملوك أعز من ملك على عرش الملاح نأترا

محمود غنيم

كوم حمارة

عاشقاً للحياة بعضاً وكلاً راضياً بالحياة فرحاً وأصلاً
فإذا شاكه من العيش هم قال قولاً ورام للنزحلاً
عبء لنز الحياة يا قلب ما أف مدح عبثاً يحثي عليك وثقلاً
سرها أنك السعيد إذا لم تدّر أن لاسراً لها فيجلى
ضلة ما أقول كم لاح من كثر في وقد كان خافي السر قبلاً
ولعل الحياة أكبر لولا معظّم للحياة غالى وأغلى
فهي من فرط رفعة وانخفاض تلك غلّيا إن بعلها فحقى مغلى
بأنه باليأس من علاها وقد غا لي فقال الحياة بالخط أولى
وبعيد الحياة فرضاً وحناً ومتاعاً من يأخذ العيش سهلاً
عبد الرحمن شكري

يا كُون !

للاستاذ فخرى أبو السعود

يا كُون كُن لي جيلاً على الدوام جديداً
أبني لديك طريقاً إذا هجرت تليداً
لا تبلى ، لا تتدّ شيئاً أفتتبه مهوداً
بل أبدي دوماً محباباً مستطرفاً منشوداً
لا تبدي فرداً ولكن كُن أنت جماً عبيداً
جدّد لحسنك هذا بعد البرود يورداً
ولا تضيق بي أقفاً ولا تكدن حلوداً
لا زال أفتك لي يا كُوني رحيماً بيديداً
أشيم في كل يوم مرى به مقصوداً
لا تبد يوماً فراغاً لا تبد يوماً زهيداً
لتبقى حلاً فنيماً أريج منك المزيديداً
جدّد صرورتك وأبث بط التموس سعوداً
ابث أسمى أو سروراً لكن حذار الجلودا
أريد يا كُون عمراً في كل يوم مديداً

فصول مختارة في الفلسفة الألمانية

٢٤ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

النامية السليمة من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

ألم يؤول بالنفس - في مدرسة الألم - إلى خروجها مهدبة تقية ؟
إن في الانسان « خليفة وخالقاً » في الانسان شيء هو مادة وطين
ووحل ، لا شعوره ، فضاء ، وفي الانسان شيء هو خالق مبدع ،
وتقاش ، بهجة فنان وصلابة ومطرقة ، أأدركتم هذه المقارنة ؟
ألا تزال شغفتكم تذهب إلى ما في الانسان من مادة ينبئ سحقة
وحرقة في النار حتى يتطهر ، وإلى كل ما يجب عليه أن يتألم
بالضرورة ؟

وشغفتنا هل ندرون موقعها ! إنها شفقة علينا حين تقايل
شغفتكم كما تقايل كل ظاهرة من ظواهر الضعف والجبن ،
وهكذا : شفقة ضد شفقة

وبرى نيتشه أن المذهب الديموقراطي علامة من علامات
الانحطاط ، لأنه مهما تباعدت أصوله وتبدلت مناهجه متفق مع
المذهب الديني ، ففي الشريعة المسيحية وفي ديانة الألم الانساني
يتمثل ما يتمثل في مذهب المساواة . . . مقت الضعيف للقوى ،
وجنوح قوى إلى حياة لا ألم فيها . إن المسيحية تجمل الناس
متساوين أ كفاء أمام الله ، وتعدم بسعادة كاملة في الحياة الثانية ،
كذلك الديموقراطية جملة الناس متساوين أ كفاء أمام
الشريعة والحق ، وعملت على تحقيق سعادتهم في هذه الدار ،
ورجت أن تخلق مجتمعات غوث فيه التفاوت ويكون أهلها في الحق
سواء ؛ لا يتمتع أحدهم بما لا يتمتع به آخر . حيث لا أمر ولا
طاعة ، ولا استبداد ولا استثناء ، ولا سيادة ولا عبودية ،
ولا غنى ولا فقر

هذا هو المثل القوي تنهض اليه الديموقراطية ، وبدمها اليه
أصحابها على اختلاف مللهم ونحلهم . . . كلهم يعملون على رفض
كل سلطة ذاتية ، لملكوا لأنفسهم كل امتياز ، وكلهم يؤمنون
بأن كل فرد يقدر بل ينبغي له أن يجد سعادته الخاصة في سعادة
المجتمع بأسره ، وهذه السعادة الاجتماعية يمكن تحقيقها بأشفاق
كل فرد على المجتمع ، وبالمحبة العامة السائدة . هذه الأفكار
غرس في عقول أبناء الحاضر غرساً متيناً ، حتى أصبح لا يقوم
- في أوروبا - رجال بقوى فيهم روح السلطة والزعامة . ولن
تجد في عصرنا هذا من يمثل روح نابليون القوي كان ينضوي
تحت لوائه الألوف ، يمشي فيمشون لا يسألونه أين عشي ، وهؤلاء
من بأيديهم الحكومة اليوم لا يملكون من الحكم إلا قليلاً ،
لأن شريعة العبيد رافعة رأسها في كل مكان ، فهم يستمدون

إن انتشار مذهب الشفقة - في هذا الجيل - دليل على
أن الانسان أصبح يزداد خوفه من الألم . أصبح متراحياً ، غثيثاً
يخشى من كل ما يكره عليه طمأنينته ووجوده ، لا يحمل القرار
من الألم وحده ، بل لا يستطيع أن يتصور فكرة الألم عند
الآخرين ، حتى لا يقدر أن يؤلم الغير عند ما يطالب العدل منه
ذلك باسم العدل . الرحيم ببسط شفقته حتى على المجرمين والمسيئين
« وقريباً يأتي ذلك اليوم الذي يترأخى فيه المجتمع الانساني ويقعد
عن معاقبة المجرم الذي يضره . لماذا يعاقب المجرم ؟ إن المعاقبة
يرى فيها ضرباً من ضرر الجور . فكرة القصاص وضرورة
القصاص تسوء . أليس في إقصاء المجرم وغل يديه عن عمل السوء
ما ينبغي ؟ فلماذا القصاص إذن ؟ إن القصاص يضي . أما المثل الأعلى
الذي يطلبه « وحش القطيع » فهو جزء ضئيل من السعادة
الحقيقية لكل إنسان ، يرافقه شيء ضئيل من الألم . إن الشقاء
- عندم - شيء يجب محقه

إن نيتشه - في هذا الفصل وهو خير فصوله - يعتقد
أن الجبن والخوف من الألم هما من الصنار والحفار بكان ، إن
الألم هو في الحق معلم الانسانية وهو الذي يحقق أحسن نماذج
شريعة . « أنتم تريدون سحق الألم ونحن نريد أن تكون الحياة
أكثر قسوة وأشد رداءة . إن الكائن السامي الذي تفهمونه ،
نرى فيه « غاية » ولا نرى فيه « نهاية » . نرى فيه مرحلة يبدو
الانسان من ورثها شيئاً حقيراً مزرعياً حتى يدرك آخر هذه ،
يلي في مدرسة الألم الكبير ، في مدرسة هذا المعلم القاسي يتم
الانسان مراحل تطوره ، أليس التضييق على هذه النفس
الساقطة تحت أعباء الشقاء يزيد بها قوة وصلابة ! أليست هذه
الرجفة التي تفتتها بإزاء الحوادث الكبرى تزيد قوة احتمالها
ومبرها وثباتها ونحويل المصائب إلى دروس مفيدة . كل هذا

بمبدأ: خلقت المرأة للحب والطاعة، وويل لها إذا ستم الرجل من ظفره عليها وألنى أن هذه المنحة حقيرة بالنسبة إليه، وركض يسي وراء غرام جديد. يبنى للرجل أن يحكم وأن يحرس. يجب عليه أن يكون قادراً على أن يحيا حياتين، ليحقق سعادته لنفسه، وسعادة من وقفت عليه رجاها. ولكن تصال له إذا ظل تحت أنقال هذا العمل، وإذا أدرك حبه وهجز عن اضرام نار هذا الحب، فإن هذا الحب ليحور بنفصا، وتقلب المرأة به عليه، حتى لا ترى فيه إلا موضع ازدراء واحتقار.

ولكن جيلنا هذا لن يقبل هذه الآراء... فالجيل الذي قدس العبد يجرب أن يؤله المرأة... لا يرى في المرأة عنصراً سامياً يستطيع أن يساعد الانسانية في تقدسها. الرجل وحده يتلقى عليه ذلك لأنه السيد، وهو السيد ذو القوة الراجحة والعقل الأرجح والقلب الأمثل والارادة الأشد نفاذاً. والمرأة قد تكون نبهة، ذكية تضارع الرجل نبهة وذكاء، تفهم المسائل وتفصل أهيات الأمور الدقيقة وتحاكم وتجادل ولكن طبيعتها أقل عمقا وأقل غنى من طبيعة الرجل. لأنها تبقى دائماً طافية على سطوح الأشياء. إنها شيء لا يذكر... إنها مسكينة مراهوة بنفسها.

يقول زرادشت «يُعلم الرجل للحرب، والمرأة لتسليه المحارب... ومادون ذلك فهو جنون» ليست المرأة صنماً وإنما هي لبة سريمة العطب لكنها ثمينة وقد تكون خطرة. هي رقة في طبع الرجل. تفندو خطرة مرعبة حين يضرسها الهوى والحب والبفض، لأن طبيعتها لا تزال أكثر احتواء من طبيعة الرجل على وحشية الفرائر الأولى. ففيها رقة ملمس الهرة وفظاعة مغالب النمرة، فيها طبيعة نائمة نائرة، وأهواء جامحة لا تعرف منطقاً، ورغاب قلق... وكل هذا يجعل المرأة فقيرة إلى سيد يكبح جاحها ويقودها ويميت فيها جنونها، حتى إذا استشمرت الرجل أمست رقيقة ناعمة بفضل طبيعتها وزينتها وتبرجها وفضيلتها اللابسة ألف ثوب. فيعرو - إذ ذاك - قلب سيدها الاشفاق عليها، الاشفاق الكثير لأنها أكثر عرضة للألم. إنها مفتقرة إلى حبه، وقد قضى عليها بأن تكون أقل الخلائق ومما ان نيتشه ينقم على المرأة التي تريدان تتحرر من قيودها، وتهجر احترامها للرجل وترجم بأنها قرينة مساوية، تريدان تدخل معه فيما تطلب الحياة من نضال. ان نيتشه يبغض النساء اللواتي يمشين في صفوف الرجال، لأنهن يفقدن تأثيرهن ونفوذهن

الحكم من هذه الشريعة، لا يجحدون عنها ولا يجحدون عنها مصراً، فهم خادمو هذا البلد، هم الجلادون فيه، وهم منفذو القانون (١)

وقد بحث نيتشه علاقة الرجل والمرأة، وهو يرى أن المرأة ليس لها حق المساواة مع الرجل، دل على ذلك الحب الذي تنتمس في سماته الكائنات. فوظيفة الحب - عند الرجل - غيرها - عند المرأة، ومكافة الحب عند المرأة غيرها عند الرجل. فالحب عند الرجل إنش هو إلا حادث بسيط أو غريزة ضئيلة. أما الغريزة النقية فيه فهي غريزة القوة، هذه الغريزة التي تدفعه إلى بسط سلطانه إلى أقصى ما يقدر عليه. ان مناضلة القوى الطبيعية والقوى البشرية في سبيل تحقيق شخصيته هي ما يتطلب منه عصره وجهوده. فإذا أسلم نفسه إلى الحب، وهب حياته وأفكاره للمرأة التي يهواها يصبح عبداً مقهوراً وجباناً ذليلاً، تسليخ عنه الرجولة الحقة والحب الحق.

يقول زرادشت «كل ما في حياة المرأة هو لنز، وكل ما في المرأة له حل واحد هو التوليد» فالحب إذن هو أبرز ما في حياة المرأة، وإنما مجدها وشرفها يدفنانها إلى أن تمتل دور «الأول» في الحب، وأن تهب كيانها كله جسداً وروحاً للرجل الذي تصطفيه، وأن تفتش عن سعادتها في الانسلاخ عن ارادتها الخاصة. يقول زرادشت: إن سعادة الرجل «أنا أريد» وسعادة المرأة «هو يريد» إن المرأة التي تحب يبنى لها أن تسلم نفسها إلى الرجل الذي يجب عليه أن يتقبل هذه المنحة... هذه هي شريعة الحب التي تجعل بين الرجل والمرأة حاجزاً حائلاً وقرقاً

(١) ولعل نيتشه صدق في نبوءته هذه، فقد علت الثقة على شريعة السيد بعد أن ترجمت نفاثاتها، وغابت تماثيلها أيماناً خفية، فسلت القوضى حيث استأثرت الديمقراطية، وزاد الشعب حيث استغرق الناس في الحرية، فهب منهم من لا يؤمن بنصف الحاكم أو بنصف القائد، وحصر السلطة في نفسه، ولم يترك لمثل الشعب إلا ظلاً لا يثني ولا يرفع، فجثا نظرت تنظر ديكتاتورية عابئة ضئيلة، ضمنت للشعب أن تقوده إلى أنهار من عمل معنى، وجداول آمال كان ينكرها إذا هجست بها شبه... وهل أحول من هذه الديكتاتورية التي نشأت في وطن نيتشه؟ وكأني أبصر هذه الديكتاتورية تحت أثر تماثيل نيتشه في الاسطفاء والبيادة... كان نيتشه يمسر بفلسفة عنيفة انسانية، يرحب «بالسوريان» أي بالكان، في الثرب أو في الشرق، ولكن رجال شبه حوروا هذه التماثيل بض التحوير، غلبوا من فلسفة نيتشه فلسفة قومية، يريدون أن يكون منهم «السوريان» أو قل يريدون أن تكون أمتهم «سوريان» بقية الأمم؟ فهم يضطهدون للتطليين والتناصر التي لا تؤمن بالروح الجرمانية... وويل غداً لكل ديكتاتورية لا تطلق جوع السيد

القصص

صور من هرميوس

٩ - حروب طروادة

فتنة

للأستاذ دريني خشبة

وكان حلماً لذيذاً طوّف يمينيه ، فرأى إلى قصة حبه كمثل
بكل ماضيها الحافل أمامه ؛ ورأى إلى هذه الأويقات الحلوة التي
التذ فيها فتنة ذيتيس تشب جنة من الأيام الخوالي فتغمره بسحرها
وأسرها ؛ ورأى إلى ذراعيه المرتجفتين ملتفتين حول خصرها
النحيل ، وطرفه السام الباكى يجول في طرفها الناعس الكحيل ،
ورأى إلى هذا المرمر الطروب النصب في تماثلها يكاد يكلمه ...
فيروى له من أخبار العناق ، وسكرات الهوى ما يفيض له دمه ،
ويجب قلبه ، وترتد من ذكره فرائصه

« ذيتيس ؟ ! ... »

« ؟ ؟ »

« مالك ؟ ... تبكين ؟ »

« ! ! »

« لا ... لا ... إلى يا حبيتي ! »

وكانت كلما ألحت في الصمت والبكاء ، ألح هو في التلطف
والرجاء ، وكانت ذيتيس تدرك ما أمّارته في قلبه من غرامه
القديم ، فدلت وقاهت ، حتى أيقنت أنه منقاد لما تطلب ،
ولو كلفته بهدم الأولمب ، وثل عروش السماء !

« أ أخيل ! »

« أخيل ؟ : : : ماله ؟ ... »

« ما كفاي أن يذهب ليلتي حتفه تحت أسوار طروادة ،

حتى يهينه أجا منون ! »

« يهينه أجا منون ؟ يهينه كيف ؟ ... »

« أغضب قديس أبوللو وكاهنه الأكبر ، ولم يقبل أن

يرد عليه ابنته خريسمز ؛ فغضب الراهب الشيخ ودعا به ،

فصخر الطاعون على الهيلانيين ، حتى كاد يبيد ، فلما طلب إليه

أن يرده ابنة القديس على أبيها الشيخ ، أبى ، وأخذته العزة بالانم

فلما ألح عليه أخيل ، ولدى اليأس ، اتفاداً للجيش ، وإبقاء على

أبناء هيلاس ، رضى أن ينزل عن الفتاة ، إفا نزل له أخيل عن

بريسيز ...

انتظرت ذيتيس - أم أخيل ، وحبيبة زيوس من قبل -
حتى نادى الآله الأكبر من حفل أولمبي دعى إليه حينما شبت
المخيمة بين أجاممنون وبين ابنها ، فأسرعت إليه لتكلمه في
الاهانة التي لحقت بأخيل العظيم ، وأزوت بكبريائه ، كسيد
جنود هيلاس

سجلت ذيتيس إلى زيوس

وكانت ذكريات غرام الآله الأكبر ما تزال تتدفق في
قلبه ؛ وكان رنين القبل فوق شفتيها القرمزيتين ما يزال تتجاوب
أصداؤه الموسيقية على شفتيه الموهبتين الملهبتين ؛ وكان هذا
الحال الفتي ما يزال له رجع في كل جوارحه ... وجوانحه ...
وقفت أمام زيوس !

واعتبار المجتمع لمن . وإنما همهن أن يظهرن للرجال بطبيعة مبانة
اطبيعتهم وجيلة غالبة لجيلتهم ، يصعب فهمها ويصير حكمها .
وهاي المرأة المزاحمة للرجل أصاعت ما خصتها الطبيعة به وأملت
منها التي تقضى عليها بوضع الأطفال

وفي النهاية يرى فينقه أن أوروبا تتشوه وتزداد تشققاً ، قد
استحال إلى منزل تسكنه طائفة من الناس توفوق - لا أحزان
كبيرة ولا أفراح كبيرة - طائفة من رجال ونسوة تساوا في
المعجز والضمف والأخطاط ، يقضون على الأرض حياة متشحة
بالسواد ، لا أمل فيها ولا غاية لها .

نبيل قناروى

(تبع)

الجميع ، ولزماء ، الجميع بجنت أومس ، ولكنه قائدنا وملكننا ،
وسليل الآلهة العظام ، أجامننن ، هو الذي رأها ، وهي لاشك
موحاة إليه من لدن ربنا وسيدنا ومولانا ملك الأواب ، وهو لابد
ناصرنا على أعدائنا الظالمين . فهللوا أيها الأخوان إلى رجالكم
قائضوهم ، وانفضخوا فيهم الحية والحاسة ، فاذا أشرقت ذكاه
فسووا صفوفهم ، واشحذوا عزائمهم ، ولتوكل على أربابنا ،
وليتهف الجميع ؛ باسم زيوس ، ولتصل له ؛ وانسبح تسبيحاً
كبيراً

فلما كان الصبح ، ارتجف السهل والجبل ، ودوى الثرقان
والغربان بجلبة الجند ، وصار كل معسكر كأنه خلية سخافة من
النحل . . . تطنن وتطنن . . . وصارت الساحة الحمراء كأنها
سماء مستكورة ، لرعد هزيم ولريحها هزيز ، ولبرقها خفاف
يذهب سيناء بالأبصار . . .

وشرعت الزماح وأرهفت السيوف ، وحلقت النايأ كأنها
الأعربة السود ترنق فوق الغرائس ، وتدوم فوق الجيف . . .
ولم يكن أجامننن قد انخدع بالحلم الكاذب ، فشدده أن
يرى إلى استعداد الجيش ونفرتة نفرة واحدة . . . ولم يندعه
كذلك هذا العدد المديد من الجنود ، طملاً أن ليس فيهم أخيل
وشياطينه المقاتلة . . . المير ميدون !

فأوجس في نفسه خيفة ، وهاله أن يكون في الأمر سر ،
ووتر في قلبه أن تمضبة أخيل لابد أن تنضب السماء ، واستقر
في نفسه أن هذا الجيش المرهم سائر إلى الهزيمة المؤكدة ، ووارد
موارد الردى !

وهكذا جبن القائد المام . . . وتيم على أن عقد المجلس
الحربي . . .

لما أن متع النهار ، ونظر إلى الجند فرآهم يغمرون الأودية ،
وبريضون في مشارق الجبال ، ورأى إلى طروادة النبعة تهزأ
بكواكب الهيلانيين وجيوشهم ، حتى نهض فوق يفاعر من
الأرض ، وهتف بجنوده يقول :

« يا أبناء هيلاس ! يا بني قوى !

لست أدرى لإلام تمتد بنا هذه الحرب ، وحتم نُنقى هنا في
هذا المكان السحيق من الأرض ؟ !

تسمة أهوام يا قوم ، ونحن هنا بجملد من العالم ؟ نتام في
الخيام ، ونأوى إلى السفائن ، تلفحنا الرياح ، ويشور بنا البحر ،
وتتخطفنا النايأ !

وآثر أخيل حياة المحاربين ونجاتهم ، فنزل عن الفتاة للقائد
الفائز . . .

« . . . ثم . . . »

« ثم هو الآن يحترق بينه وبين نفسه ، وقد اعتزل الحرب ،
وخلا وحده في معسكره ، يهضم أحزانه ، وتهضمه الآلام . . . »
« لا عليك يا ذيتيس ! لا عليك يا حبيبتى ! قرى عينك . . .
قرى عينك . . . فها أخذه الناس بغير ما ينبغي له ، لأذيقنه وجنوده
البلاء المين . . . »

وعادت ذيتيس جدلانة بصد أن طبع على جبينها التلألؤ
قبلة . . . كم كان يشتهي أن يطبعها على فمها الحمرى . . . لولا أن
ذكر أنها زوجة . . . !

زلزلت ذيتيس قلب الآله الأكبر بدلاها وقرة فتونها ،
وأرق طيفها الرائع جفنيه ، فلم ينق طعم الكرى تلك الليلة
بطولها . . . فهب من مضجعه السندي فوق سدة الأولب ،
واستدعى إليه إله الأحلام ، فأمره بالذهاب من فوره إلى معسكر
الهيلانيين

« . . . فاذا كنت نمة فانطلق إلى فسطاط أجامننن ،
فداعب عينيه ، واجثم على قلبه ، وقل له ، وهو يغط في نومه
السميق ، إن الآله تأمرك أن تصبح فتنتخ في بوق الحرب ،
حاضاً مساكرك على اقتحام طروادة . . . فان زيوس يشرك
بالمدينة الخالدة ، ولا يكاد النهار ينتصف حتى تكون جنودك في
شوارع اليوم ظافرة منتصرة بأذنه . . . »

وسدع إله الأحلام بما أمره سيد الأولب ، وانطلق إلى
معسكر أجامننن في أقل من لحظة ، فداعب عينيه ، وألق في
روعه الحلم الكاذب ، وحاد أدراجه إلى مولاه

فلما تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، هب
أجامننن من نومه مذعوراً ، وأرسل رسلاً إلى رؤساء الجند
فاجتمعوا لديه قبيل الشروق ، وأعلن هو انعقاد المجلس الحربي ؛
فصمت الجميع ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وكل يظن أن لابد من
أمر جليل ، استدعى انعقاد المجلس في هذه الساعة من بكرة اليوم ؛
ونفض أجامننن فتحدث إلى القادة ، وأخبرهم برؤياه . ولما
فرغ ؛ نهض نسطور الحكيم الحنك ، فسبح باسم زيوس وأثنى
عليه ، وقال :

« لو أن أحداً غير القائد الأعلى رأى تلك الرؤيا لآثار استهزاء
» ٣٨٠

إذن فثينوس تنصره ، وهي لذلك تقبه هوان الهزيمة وذل
الانكسار ، ولكنه أين يهرب من حيرا سيدة الأولب ، التي
وعده نعيماً وملكاً كبيراً ، إذا هو كان قد أعطاهم التفاحة ؟
لقد أسخطها بما لم يسخطها أحد به من قبل ، وهي لذلك
تصل ليلاً بنهارها في تدير السوء له ، والكيد لوطنه وعشيرته
وكل من يلود بهما .

ثم أين يهرب من سخط مينرفا كذلك ؟
أليست مينرفا كذلك قد وعدته الحكمة التي لم يؤتها أحد
من قبل ، إذا كان قد قضى لها في التفاحة ؟ ...

إن مينرفا هي الأخرى تتربص به السوء ، وتود لو أظفرت
به أعداءه فينكسون به ، ويستمونه عذاب الهون ، بما قضاه في
التفاحة لثينوس .

سمعت حيرا خطبة أجا ممنون من علياء الأولب ، فأفزعها
أن ينقاد الجند له ، وهالما أن يستمد الجميع للرحيل .

فاستدعت إليها مينرفا ، وخطبتها بصدد ما قال قائد
الميلانيين ، ثم اتفقتا على أن تذهب مينرفا إلى معسكر القوم
فتلقى البطل المغوار أوليسيز ، فاستفك تحضه ويحرضه حتى يقوم
هو بالهلب طائفة الجند ، وتفتح عيونهم على المار الأبدى الذي
ينتظرون في بلادهم ، إذا طادوا إليها من غير أن يظفروا بأربابهم
بأعدائهم ، قانعين من الفتيمة بالأياب ... بعد تسعة أعوام في
دار الثربة ...

وانطلقت مينرفا إلى ساحة الحرب ، وكانت ترف كالسحابة
البيضاء في دُجّة الليل فيما بين جبل إيدا وشواطئ الهلسينات ،
حتى إذا شارفت للمعسكر أطلت على القوم فوجدت رؤوسهم
يتحاورون فيما قال أجاممنون ، ورأت إلى أوليسيز متجهماً متقبض
النفس مُثقل الروح ، يكاد ينشق من الشيط ، مما سمع من كلام
القائد المام الدال على الخور واليأس ، واستبشرت مينرفا بما
رأت من هياج أوليسيز ، فهبطت عليه رحة من السماء ، وكنيته
قائلة ، بحيث لا يراها إلا هو :

« أوليسيز فتي إيتاكا وبطل هيلاس »

أمرعت إليك — إليك أنت — إليك يا أشجع جندي
هنا ، لأحذرك أن تتخذ بكلام أجاممنون إنها خدعة يا أوليسيز !
إن القائد العام يحاول أن يسير عزائمكم ، ويخبر همكم ، فلا تنطل
عليك كلمته

إنكم لم تنفروا إلى طروادة خفافاً وثقالاً لتقتربوا من

وعبثاً ينتظروا أبناءنا ونساؤنا في هيلاس المزينة ! ومن
يدري ؟ فقد يكون بعض أبنائنا أو آبائنا انتقلوا إلى هيدز ، ونحن
هنا نتصارع مع الموت ، من أجل امرأة آتية لا عرض لها
ولا شرف !

أبناء وطني !

ألا أقول لكم كلمة سواء صريحة ؟ هلوا فاعمدوا هذه
الرقاق البيض ، ولتعمد مع الطرواديين هدنةً يقبها صلح شريف ،
ثم لتركب أسطولنا الذي نخر السوس في أخشاب أوكاد ، ثم
لنعد أدراجنا إلى هيلاس سالمين !

حرب ...

آية حرب هذه التي اشتعلت من هولها الرؤوس شيئاً ؟
آية حرب هذه التي تودي بأعرار الهج ، وتذهب بأغلى
الضحايا من نفوس الشباب ؟ بل آية حرب هذه التي توقع
المداوة والبضاء بين أخوين من أعرار أبناء هيلاس ، فيتراشقان
بالفحش من القول ، ويتبادلان الحجر من الكلام ، ويوشكان
أن يلتحما في زبال يودي بحياة أحدهما من أجل امرأة ؟

ألا - أجاممنون - أغضب أخيل أخى من أجل لذة طارئة ،
ومناع غير مقيم ؟

باللهول !

لنتنبه هذه الحرب ، لنتنبه هذه الحرب ... ولنعد إلى
هيلاس ...

وأرسلها أجاممنون خطبةً طويلة تفيض بالحقيقة وتمترق
بالواقع ... فصادت من قلوب الجند المذيين هوى ، ولقيت
منهم استحساناً وتحميلاً ، وطربت لها نفوسهم التي أضناها الحنين
إلى الأوطان ، وشغها التوق إلى لقاء الأهل ، ونبتذير هذه الثربة
الطويلة التي أنهكت قوام وأوهنت شبابهم

وفكر كل في أبنائه وأبويه وأحبائه ، فهفت نفسه إلى
الارتحال عن هذه الساحة المشجية ، عسى أن يقضى الحقة
القصيرة الباقية من حياته الطريفة في راحة قلب وهناء بال بين
أهله وذويه ...

لكن الآلهة لا تريد هذا !

وكيف تنتهي حرب آثارها ياريس بيت ربات الأولب في
البدء ؟

أليس هو قد قضى في التفاحة لثينوس ؟

الميلانيين بعديتهم ، وإحاطتهم بها من كل جانب ، وصري
العرب في قلوبهم ، ودعوا ثيورا كثيرا ۱۱
وكان يحثهم أن ياريس الذي جرع عليهم كل ذلك السكوب ،
وكان السبب المقيم لهذه الحرب ، يقر في غمده الوثير يداعب
هيلين النحوسة ويلاعبها ، ويساقبها كؤوس الهوى والغرام ،
غير أنه لما ينص به قومه من كؤوس الردى والحمام !

وخرج ياريس لشأن من شؤون لهوه ، وعبث باطل من
أغراض غرامه الدني ، فسمع الناس يلهون ويلهزون ، ويلوكون
اسمه بالسنة الموان والتحفير ، فثار ثاره ، وثار حساسه ،
وأقسم كبريت الجبناء من ضروب شجاعته ما تتخلع له قلوبهم ،
وتطير من هوله ألبابهم . . .

وذهب من فوره إلى أخيه هيكتور فطلب إليه أن يرفع الراية
البيضاء ، ويحترق الصفوف حتى يكون في وسط الميدان ، وينادى
قائد القوم ليتفق معه على أن يستريح الجيشان طيلة هذا اليوم ،
ثم لتكون مباراة بين ياريس ، على أن يمثل الطرواديين ، ومنالايوس
على أن يمثل الميلانيين ، فإذا فاز أحدهما بصاحبه ، وأظهرته الآلهة
عليه ، عاد إلى قومه فرحاً مسروراً ۱۱

وطرب منالايوس لما اقترحه غريمه الذي كان كالساحى إلى
حلفه بظلفه ؟ وصممت الأفواه وحملت الأنظار ، وتلص كل
جندى في الجيشين قلبه من شدة الخفق وثورة الوجيب ؟ وبرز
منالايوس وبرز إليه ياريس ؟ ومرت الأحداث سراعاً أمام عيني
ملك أسبارطة ؟ فذكر عشاق هيلين وسدود هيلين ؟ وذكر يوم
الخيرة الكبرى يوم رضيته من دون عاشقها الكثيرين بملأ
كروما لها ؟ وذكر يوم احتفائه ياريس واحتفال أسبارطة كلها
به ، كصيف عظيم للمكها ؟ وذكر أن هذا الفارس الذى تزلزل
من تحته الأرض إن هو إلا القادر الخيال الذى اعتدى كاحقر
الجبناء على عرشه ، ولطخ يوحل الفضيحة شرفه . . . ثم ذكر
كيف قرت زوجه معه تحت جناح الليل . . . ذليلة للفنسا ،
أسيرة هواها . . . فثارت في قلبه زوينة من الجنون ،
واقترعت في رأسه بركان من الغضب ، واقترعت في عينيه جحيم
بأكلمها من النقمة ، واندفق الدم ينلى في ساعديه ، وانقض على
خصمه فأوشك أن يحطمه . . . لولا أن هاله هذا الطيف الغريب
الذى كان يحسى ياريس منه ، واقفاً إلى جانبه . . . وخلفه . . .
وأمانه . . . ومن فوقه ، ومن كل جهة جاء منالايوس منها ،
ينفود منه ، ويتلقى الضربات الأسبرطية فوق درعه المسرودة ،

أوطانكم تسمة أعوام طوال ثم لتمودوا كما أنتم ! بل أضل سبيلا
أوليسيز ! ما ذنب القتل الأجرىاء الذين خضبت دماؤهم ترى
هذه الساحة ، تتركونهم في سحرتين من مقابرهم : حمرة الدم . . .
وحمرة الخجل مما فرطتم في حقوقهم وسهوانهم في كرامتهم
وما خطب السنين التسع يا أوليسيز ؟

أكنتم تلهون يوم نخيم بأفنيا . . .
أكنتم تلهون يوم أهدر بروتيلوس دمه ؟
وشرفكم الذى يذبح كل يوم في قصور طروادة ۱۱
واستهزاء الأم بكم ، ونحك القبائل عليكم ۱۱
لا يا أوليسيز ! هل غرض القادة ، واتق من روحك في
قلوب الجند . . .

وسمع أوليسيز إلى ربة الحكمة ، تخفق قلبه ، وثار نخوته ،
والتهبت تحيزته : وماهدا على إضرام المعمة ، وتأجيج
لظى الحرب

وانطلق بين الصفوف فلق نسطور وأياكس وبالايبديز
وغيرهم وغيرهم من زعماء الجيش ورؤوس فيالقه ، فحذرهم (من
الاتخذ بكلمات أجاممنون ، لأنها حيلة يريد بها القائد تسير
غرائهم ، واختبار همهم) ، كما تحدث إليه ميثرقا ۱۱

وحضهم على التضحية والمير ، وحرضهم على الجلد
والاستبسال ، وذكروهم بهودهم ونظر الدنيا جميعاً إليهم ، ثم
حذرهم من المار السرمدى الذى يتربص بهم إذا عادوا من دون
أن يفتحوا طروادة . . .

وتغيرت الحال !
وتجددت روح الحرب ، وفتح كل جندى عينه على مجد
الوطن ! ونجح أوليسيز !
ونجحت ميثرقا !

ودهن أجاممنون لهذا التحول المفاجئ في نفسية الجيش ،
تلك النفسية التى كانت منذ لحظة ، فقط ، مزيجاً من القنوط
والياس ، وخليطاً من السرور الخامر لجرد الأيدان بالعود إلى
الوطن ؟ فصارت تضطرم تشوقاً إلى الحرب ، وتتحرق شوقاً
إلى امتشاق السمهرات الظواى !

وما وسعه إلا أن يثني على شجاعة الجنود ، و . . . عدم
استسلامهم ، و . . . ترفعهم عن الاستكانة والاستخذاء ۱۱
فكان بحوله أهب . . . وموقفه بين عشية وضحاها أعزب !
ونظر الطرواديين من كوى أبراجهم فراعهم التفات

أنقص منه عراقيته :

رصاصه في الفضاء

« من كتاب (دفتر الأزرق) الكاتب ،
الذي سوف يطبع وينشر في المستقبل القريب »

بقلم محمود . أ . السيد

- ١ -

حادثة غريبة حدثت في مرقص الهلال في بغداد
كان أول من استقر عليه نظري في ذلك المرقص ، ليلة
حدثت هذه الحادثة التي أروى لكم ، وهي من ليالى صيف
١٩٢٨ ، ثلاثة حبيبهم من طلبة المدارس العليا أو صفار الكتبة
في الدواوين ، على مقربة مني يقصفون وينظرون إلى من حولهم
من النظارة مستكبرين ، ناقدين المرح قد راقب في إصلاحه :
إصلاح الرقص الخليلج فيه والغناء المحزن القديم

وكان النظارة تجاراً صغاراً وذوي حرف ، وعمالاً ، رأيتهم
أخواناً متقابلين في حلقات مسخرة من الكراسي الخيزرانية

الأضواء ، ذات الحلقات ١١

ماذا ؟

آه ! إنها هي ! هي بيننا ! هي فينوس ! لقد أسرعت
إلى باريس تحميه في ذلك الزرع الأكبر ! فلما أوشك أن يستلم
عن عليها ألا تنفذ حياته وهو هو الذي حكم لها بالفتاحة ...
لقد رفته إلى عمل !

وطفق متالايوس يبحث عنه هنا وهنا ... ولكنه لم يثر
له على أثر !

لقد ذهبت به ربة الحب ، إلى مخدع الحب !

إلى هيلين !

ولكن ويل له من هيلين ! لقد كانت تطلع على الساحة
تقري إلى مبارزة البطلين ، فهاها أن يطن ملك أسبارطة
بجبيها ، لولا هذه السحابة البيضاء التي كانت تحميه دائماً من
خصمه وتقيه ...

وعذله هيلين على هذا الفرار الشين ، فكان عذله له أشد
على نفسه من ضربات متالايوس ! ...

وربني ضيق

(لها بنية)

حول موائد مربية مكسوة بقماش الكتان ؛ تفعم كل مائدة منها
أطباق النفل والأقداح وزجاجات الخمر ، وأنوار المصابيح
الكهربائية المعلقة فوق رؤوسهم ، اللونة بألوان العلم العراقي ، تبدد
الظلام ...

وكان « جماعة » من الشباب « العوام الأريحيين » ، ذوي
المباعدات الرقيقة السوداء التي تشف عما تحتها ، والعام
« المصفورية » الرقشة باللون الأزرق ، يتراشفون بالنكات
والفكاهات من وراء حوض مبلط بالقاشاني الأحمر كائن في وسط
المرقص تجلله الأعلام وسعف النخل ، وأصواتهم وكلانهم
الشعبية الظرفية تثير الضحك ، ويحيي في نفوس القوم اللذة
والسرور

وكانت الراقصة الفنية الأولى ، تلقى قاتمة الأفاني ، التي
أعدت للقوم في تلك الليلة - وهي عامية مشجبة - جذلي ، أو
مظاهرة بالجذل ، واثقة بنفسها كما كان يبدو من حركاتها ، متقدة
بأنها تجيد الغناء . ثم أنشدت هذه الأبيات من الشعر الشعبي
الجديد :

« عن قص الشعر لا تلومونا والوقت هذي فتوته »
« قص الشعر صار بوطننا على الموده شحلو فتته »
« قص الشعر لنا زينته شبه الذهب بالخزينه »
« كل من يمشي بخياله والمحب تنظر عيونه »

وقال واحد من الثلاثة - أولئك الذين حبيبهم من الطلبة
أو صفار الكتبة - وهو مُبدّن ذو وجه مربع كأنه مصنوع
بفأس النجار ، يخاطب أحد صاحبيه مشيراً إليها :

- إنها لذات وجه صغير جداً ، وقد صبت وجنتها
بالصبغ الأحمر لتستر اصفراره ولا شك ، فما أتبعها !

ورفع إلى فم كأسه ، ولم يستمر في انتقاده . أجاب الذي
خاطبه وهو أشقر اللون حسن البزة :

- « كلا يا أخي . إنها جميلة يجملها شعرها الفاسم
المقصود طبقاً للطريقة المصرية التي شاعت في الأيام الأخيرة »
وراح قائلها ، وهو فتى غرائقي ، طلق الحميا باسم الشعر ،
يشعل طرف سيكارته ويدخن صامتاً ، والتفت إليه ذو الوجه
المربع يسأله :

« هل سليمان قادم إلينا ؟ »

« سوف يأتي . ولكنه لن يأتي بنا بقلب مفتوح السرور ،

لأنهم ظلموه حقاً إذ استلبوا منه وظيفته ، على ما تعلمون »

سخطهم على الصهيونية مثلاً كما فعلوا أمس ، سحقهم ببنابك الخليل ... قبض الشرطة الآن على عبد الكريم ، واحمد حسن وطاهر ، ولطفي ... وواحد من المظاهرين في المستشفى جريح .. « واشتد صخبه وصراخه . وكان صجبه ، مع ترحيبهم به ؛ وتقبلهم آراءه ، يتلقون نظرات المحيطين بهم البالية على استغرابهم هذه الخطبة ، التي لم يسمع أحد مثلها في المراتص ، في شيء من الارتباك . ونادى الفتى الغرائق الخادم ليأتى ضيفهم التائر برجع من الحمر الأبيض

ثم أقبل صاحب الرقص على سليمان متلفكاً يسكته ، وبينه إلى أن فبا قاله الكفاية ، وأن الخوض في شؤون الوطن وسياسته في المرقص بين الكأس والعود ضرب من العبث ؛ « واليوم خر وقدأ أمر » ؛ وكان الرجل أديباً ظريفاً ، فأفاض على الجماعة بحملة من النوادر قبل أن يتولى عنهم وينصرف

وتركت النظر إليهم ، واستباح أحاديثهم منصرفاً إلى دراسة المرسح

وكما كان الجاحظ وهو من أئمة الدين يؤلف الرسائل في القيان ، كنت عازماً على كتابة فصل في نقد مفتيات بغداد اللاني يطربن أبناء الشعب في ساعات لهوم ومرحهم . فقلت مخاطب نفسي : « إليك المادة الأولى من مواد الموضوع » . ثم أخرجت قلبي ودفت مذكراتي فكتبت :

« كانت المغنية الراقصة الأولى التي يسمونها جميلة العودية معتلة القامة ، نحيفة ترتدي ثوباً قصيراً بنفصجي اللون ، يتوج رأسها تاج من اللؤلؤ المزيف . وجهها مستطيل . نظراتها تدل على غباء . تضاحك الناس بين حين وآخر ... وأما غنائها ... » وكتبت صفحة أو صفحتين من دفتري في ذكر غنائها ؛ وطريقة إنشادها ، ثم انتقلت إلى وصف الثانية ، وقد جاء دورها وحانت مني التفاته إلى أشخاص قصتي ؛ فالفيتهم ما كفيت على مائدتهم بأكلون ويشربون ويتجادون ، وكان سليمان يفرغ المثالة من زجاجة « الريع » التي كانت أمامه في كأسه ، ثم يطلب من الخادم زجاجة « ريع » ثانية ، وعجبت له كيف سكن بعد هياجه ، ثم سمته يقول لصاحبه :

« إنني أكرهها . أكره تلك المغنية الهزيلة .. أكره تاجها المزيف .. أكره وجهها المستطيل .. أكره نظراتها .. »

قال الأول : وقد احتسى آخر حسوة من كأسه

« ليس في خدمة الحكومة شرف للانسان ، فان كان سليمان فتى « وطنياً » مخلصاً في عقيدته السياسية فأمامه سبل العمل للطلق كثيرة ، والجهاد . إن خوض المركة في ساحة الجهاد الوطني قد اقتربت ساعته ؛ فالتشب قد أزهقته الضرائب ، والاستقلال القوي وعدونا صار مجموعة من المناصب العالية ، وعمت في نظمنا القوضي ، فإذا زبد أكثر من ذلك لكي نسوغ خروجنا ونهوضنا نحن الشباب ؟ وإلى متى نجسب أن سبل العيش مسدودة أمامنا ، فلا نمرف من طرائق الارتزاق والتكسب إلا الوفاية ؟ »

قال له صاحبه :

« صدقت .. هذا صحيح »

وبعد حوار قصير سكتوا ، وكانت فترة بين فصلين

— ٢ —

أقبل الفتى الذي عرفنا من بعد أنه هو سليمان على صجبه في بداية الفصل التالي بجلا يلهث ، غيباً ، وألقى على المائدة جريدة كان يحمل ، ونزع سداوته ، ثم جلس ، وكانت آثار التيب بادية عليه ، واستغرب صجبه حاله ، وناولوه ذو الوجه للريع سيكارة ثم سأله :

« هل حدث حادث غير الذي تعلم ؟ وهل كان اليوم أيضاً تظاهراً سياسياً ؟ »

« تظاهر سياسي ؟ كيف ؟ تظاهر سياسي مرة أخرى ؟ أولم يكفنا ما لقينا أمس في تظاهراً من ضرب الشرطة اخواننا المظاهرين بالمعنى وإرهاقهم ؟ وما الفائدة ؟ »

« وكان يجيب صاحبه وهو يتكلف الهدوء ، ولكنه كرر « ما الفائدة » مرتين ثم انفجر ساخباً

« وكان المواد والكافي يطربان الخاضرين بقطمة موسيقية من مبتكرات ساي الشوا إذناً بأنهاء دور الراقصة للمغنية الأولى — « لم يبق أمل ... »

نطق بهذه العبارة حاتقاً ، يائساً ، وضرب المائدة بقبضة يده ثم قال :

« ... البلاد مقيدة بالمهادنة ، والمناصب الكبرى للأجانب وذوى المقول القديعة ، وفتيان المراق لا يجدون واسطة لأعلان شعورهم ضد الاستعمار ؛ وهم إذا ما تظاهروا ملنن

والتفت إلى صجبه مهتاجاً ، وكانوا حيارى واجبين ثم قال :
- « رصاصة لأجل الحرية ! »

وسرعان ما أخرج من جيبيه مسدساً فأطلق رصاصة في الفضاء
وهرع بعض النظارة إليه لينتبه من الاستمرار في إطلاق
الرصاص ، وبعضهم إلى باب الرقص لينجو بنفسه ، إذ أدرك في
هذه الحادثة بادرة للجريمة . وجاء شرطى يمدو ويشق لنفسه
طريقاً إلى سليمان في الزحام . . . ولم أعد أفهم من الحوادث
المتتالية شيئاً . . .

- ٣ -

بعد يومين أو ثلاثة ذكرت الصحف : « أن محكمة الجزاء
حكمت على سليمان بن محمود وهو موظف سابق معزول ، بأن
يسجن عقاباً له على إطلاقه الرصاص من مسدسه وهو سكران
في رقص الهلال »

ولم أسمع له ذكراً بعد ذلك

العراق - الأعظمية

محمود . أ . السيد

الجامعة المصرية

كلية العلوم

تعلمت كلية العلوم أنه ستخلو بها وظيفة مدرس
كيمياء في الدرجة الخامسة ، ويشترط فيمن يتقدم لهذه
الوظيفة أن يكون مصري الجنس ومختصاً في الكيمياء
وحاصلاً على درجة دكتور في الفلسفة أو دكتور في
العلوم ، ويفضل من يكون له خبرة كافية بالتعليم
الجامعي ودراية بالأبحاث ، وتقدم الطلبات مبنياً بها
المؤهلات وسابقة الخدمة إلى جناب عميد كلية العلوم
بالباسية في موعد غايته ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٥

ولا يعطى هذا الاعلان الحق لمن يقع عليه الاختيار
في الدرجة المعلن عنها أو مرتبتها إلا إذا كانت القوانين
المالية تسمح بذلك وبعد موافقة السلطات المختصة

وأحب زهراء وإن لم تكن مذنبة من ذوات الفن ولا ذات شرف
في هذا المجتمع »

وجاء الخادم بالزجاجة ، ولم يجبه أحد . وفتح الجريدة التي
كان ألقاها ساعة أقبل على المائدة وأشار إلى مقالة فيها وقال :

- « صرت منذ اليوم أعلن حبى لها على رهوس الاضهاد ،
فهذه المقالة بل هذه الفلسفة الجديدة قد غيرت رأيي »
وقرأ :

« لا تحتقروا أحداً من النساء ، فبنو الانسانية سواسية في
هذه الدنيا . . . »

ولم أستغرب هذه « الفلسفة الجديدة » - على ما وصفها -
ولم أعرف صاحبها ، التي راح يؤيدها سليمان في حماسة شديدة .
وخيل إلى من عينيه المحملتين وصوته الراعد ، أنت الثورة
الكامنة في أعماق نفسه على وشك الظهور مرة أخرى . ولكنه
كان مضطرباً قلقاً ، فلم يكمل قراءة المقالة . ودنا إلى المسرح
ممتعاً برقص الراقصة الثانية ؛ وكانت فتاة رومانية مستتركة وافدة
من استانبول . ومن رأسه ، ثم من رأسه إذ أطربه صوتها الرفيع
الغذب وأنشيدتها التركية الرقيقة . وانشغلت عنه بكتابة وصفها :
- طويلة بيضاء في سفرة كلون الذهب . . . »

واستمرت في الكتابة غير منتبهة إلى ما يجري حولي ، نحو
ساعة أو أكثر أو أقل ، لا أدري . وقبل أن ألقى القلم جانباً
رنت في أذني قرعمة أحدثها سقوط أطباق على الأرض ، وصرخة
صارخ يقول :

- « أنت خاطئ يا أخي ، أنت خاطئ وخاطئ كل الخطأ ! »
وكان الصارخ سليمان . قلت : « حقاً لقد نأر صاحبنا .
ورفعت رأسي لأنظر إليه ، فألفيته واقفاً منقوشاً شعر رأسه
يعربد ، ويقول مخاطباً رجلاً غريباً لم أره من قبل ، كان واقفاً
أمامه ينظر إليه نظرة شامت مستهزئة :

- « أنا شجاع ، شجاع ! لقد طردوني لأنني أبيت أن
أخدمهم لتحقيق غاياتهم

هذا حق ، ولكنني لم أؤثر لحرمانى من الوظيفة . . . ما أنا
بسكران . . . لست نائراً لأنني أصبحت محروماً من الوظيفة
يا كامل ، بل لأن الوطن يريد رجاله . انظر يا كامل ! وبلاك ! أنا
رجل أقبل ألف رجل من هؤلاء الخنايث لو دعت الحاجة ؛
وما كم البرهان :

البريد الأدبي

مول النزاع الأدبي

لم أعتد الرد على من يهاجون شخصي لأنني أعتبر واجب الأدب أن يقوم بقسطه من الانتاج ، لا أن يضيع وقته في الشاحنات الفارغة ، ولكن أراي الآن مضطراً إلى أن أقول كلمة (ستكون الأولى والأخيرة في الموضوع) إظهاراً للحقيقة ، وخشية أن تسمى « الرسالة » ، وهي المجلة الأدبية الصينية ، ميداناً لمجادلاتي في نظري أبعد ما تكون عن الأدب :

لا شك أن الغيرة الأدبية هي التي دفعت صديقي الأستاذ الرحلاوي إلى فتح هذا النقاش لا اعتقاده أن ثمة تشابهاً كبيراً بين قصيدة الدكتور « فاجي » وبين قصيدتي « عاصفة » المنشورة في مجلة (الدهور) منذ عام وثيف . على أنني أرى هذا التشابه مثيلاً جداً ، ولا يجوز أن يُعزى إلا إلى توارد الخواطر

أما من جهة رد الأستاذ الطنطاوي فهو ادعاء لا تدعمه حجة ولا يؤيده برهان . لقد ادعى هذا الأدب أن صديقه أنور المطار قال له إن قصيدتي مسروقة من أحد شعراء المهجر ، ثم أردف أنه لا يعرف عنى سوى أنني « ترجمان قصصى ! » فهل « للرسالة » أن تطلب منه أن ينشر على صفحاتها اسم الشاعر وقصيدته التي يقول إن قصيدتي سرقت منها ، وأصل القصص التي يدعى أنني أترجمها ؟

وليم الأدب الطنطاوي أخيراً أن من يكتب للناس ما يفيدهم بلغة سهلة بسيطة هو خير من الذي يسب ويشتم بلغة العرب الأقحاح !
(دمشق)
موشيل هفلى

وفاة رحالة كبير

من أبناء روسيا أن الرحالة المكتشف الشهير بيتر كوزلوف قد توفى في لتجراذ في الثانية والستين من عمره . وقد اشتهر الأستاذ كوزلوف قبل الحرب باكتشافاته العلمية في مجاهل آسيا ولاسيا في صحراء جوبي . وقد بدأ حياته الكشفية بالاشتراك في بعض الحملات والبعثات الرسمية في أواخر القرن الماضي . وفي

سنة ١٨٩٩ جهز حملته الأولى إلى أواسط آسيا ؛ ثم أعقبها برحلات أخرى ، ولكنه وفق إلى أعظم اكتشافاته بين سنتي ١٩٠٧ و ١٩٠٩ حينما اكتشف في صحراء جوبي في اعماق آسيا مدينة مجهولة تسمى خاراخوتو . وكانت بها بقايا أبنية ظاهرة ، وآثار جنس بشري غير معروف . ووجدت ضمن الآثار المكتشفة نقوش وكتابات كثيرة بلغة مجهولة ، ولكن الأستاذ كوزلوف استطاع قراءتها بفضل نوع من الدليل المكتوب وجده بين الأشياء المكتشفة . واستمرت حكومة البلاشفة بعد الحكومة القيصرية على تشجيع كوزلوف والاتفاق على بثائه ؛ فقام في العهد الأخير بمدة رحلات إلى صحراء جوبي كانت أخرها في سنة ١٩٢٦ . وعادته الحكومة أيضاً على نشر كتاب ضخيم عن جوبي وآثارها وعن منطقة خاراخوتو التي اكتشفها . ونشر كوزلوف أيضاً كتاباً أخرى كلها بالروسية ، ولكنها لم تترجم إلى لغات أخرى فلم يعرف العالم الخارجى عنها كثيراً ، غير أنه نشر منذ أعوام كتاباً بالانكليزية عنوانه « عصفير منغوليا »

وكان الأستاذ كوزلوف عضواً في جمعيات علمية كثيرة . وكان يعيش في منزل متميز في غابة بالقرب من نوفجورود مدى أعوام طويلة يربط المواد والآثار التي جمعها ؛ وكان من آن لآخر يحضر إلى لتجراذ ليلقي فيها بعض المحاضرات . وقررت له الحكومة البلشفية معاشاً حسناً ، وقد رافقته زوجته في عدة من رحلاته الكشفية

عميد الموسيقى الانكليزية

نعت الأبناء الأخيرة السير فريدريك كوين المؤلف الموسيقي المشهور وعميد الموسيقى الانكليزية منذ أواخر القرن الماضي . توفى في الثالثة والثمانين من عمره ؛ وكان مولده بمجزرة جاميكا في سنة ١٨٥٢ ، وأخذ إلى انكلترا صغيراً حيث كان أبوه يشغل وظيفة « بصرح الملكة » . وتلقى كوين دروسه الأولى في للموسيقى وهو طفل على يد هنري رسل ، وكتب أول قطعة موسيقية وهو في الخامسة . ودرس العزف (البيانو) على بندكت ، والتأليف

ملكة التراجم

صدر أخيراً كتاب بالانكليزية عنوانه « راشيل الخالدة » للكاتب الانكليزي برنارد فوك ، وهو ترجمة مستفيضة مؤثرة للمثلة الكبيرة راشيل التي سطعت في النصف الأول من القرن الماضي ، وتركت أثرها الخالد في المسرح الفرنسي ، وكانت راشيل مثل سان برنهارت وسان سيدون يهودية الأصل ، ولدت سنة ١٨٢١ في أسرة فقيرة جداً ، وكانت في طفولتها تنني وترقص في شوارع ليون وتجمع الفلوس لتعيش ، ولكنها لم تبلغ السابعة عشرة حتى ظهرت على مسرح « الكوميدي فرانسيز » ولم تغض أسابيع على ظهورها حتى ارتفع صيتها إلى السماكين ، ولم تبلغ العشرين حتى غدت غنية ترتع في مجبوحة الثراء والترف ، والتف حولها أكثر من أمير وشريف يرفقون في ودها ، وكانت مثال البقرة الساطعة ، ولكنها لم تكن مثلاً للأخلاق الرقيقة ، وكانت لها مبادئ وتصرفات خاصة تعدو مجتمعا وعصرها ، وقد خاضت حياة مضطربة فاضة بالعمل واللهو النيف ، وتوفيت فتية في زهرة العمر ، في الثامنة والثلاثين من عمرها

ويستعرض المؤلف حياة هذه المثلة الباهرة في قوة وصراحة ويكشف لنا كثيراً من خواص الحياة السرحية في القرن الماضي ويوضح لنا كيف كانت راشيل من أعظم ممثلات التاريخ ، ومن أعظم كواكب الفن والمسرح

ترشيح النجاشي لجائزة نوبل

من الأنباء الطريفة التي وقفنا عليها في البريد الأخير أن صحيفة سويدية هي جريدة « سوسيال ديموكراتى » التي تصدر في ستوكهولم ترشح الإمبراطور هيل سلاسى لنيل جائزة نوبل للسلام هذا العام ؟ وتؤيد الجريدة هذا الترشيح بمواقف الإمبراطور السلمية الشهيرة وأحاديثه التي أفضى بها إلى مختلف السكابين الأوربيين ، وترى أنه أجدر من وقف إلى جانب السلام هذا العام بنيل الجائزة الشهيرة . ونذكر أن القى قاز بهذه الجائزة في العام الماضي هو الستر هندرسون رئيس مؤتمر نزع السلاح ، والسير نورمان آيجل الكاتب الانكليزي وداعية السلام الشهير . ولا ريب أن ترشيح النجاشي سيقابل بالتأييد والارتياح من جميع أنصار السلام ، والمروء أن السويد تعطف على النجاشي عطفاً خاصاً ، وأن معظم مستشاريه العسكريين والسياسيين من رجال السويد

على جوس . وفي سنة ١٨٨٥ ذهب إلى لايبزج ودرس هناك على أقطاب الفن . ثم عاد إلى انكلترا ، وظهر بيزاعته في التأليف والموسيقى ، وعهد إليه برياسة الحفلات الموسيقية الملكية ؛ ولكنه كان أكثر براعة في التأليف منه في المزف . وكانت أولى قطعه الشهيرة « عذراء الورد » ، ظهرت وعزفت في لندن سنة ١٨٧٠ ؛ وأتبعها بقطعة تسمى « القرصان » . ومن ذلك التاريخ عكف السير كوين على اخراج القطع والاوربات والأغاني حتى بلغ ما أخرجه منها مئات عدة . وقد انتخب السير كوين مراراً ليكون رئيساً للفرقة الموسيقية التابعة لجمعية الموسيقى الملكية . وفي سنة ١٩١١ ، أنعم عليه بلقب الفارس والسير كوين قطع موسيقية راقصة بديعة . ولما بلغ الثمانين من عمره منذ ثلاثة أعوام ، صرح في حديث له أنه لا يدري ماذا حدث في الموسيقى المصرية ، وأنه يلاحظ أن الموسيقى المعاصرة ملأى بالفارقات والتناقضات مع أن من شرط الموسيقى أن تكون فياضة التناسق

مؤتمر تاريخ الطب

عقد أخيراً في مدريد مؤتمر لمؤرخي الطب ، وهو المؤتمر المباشر من نوعه يعقد كل عام في عاصمة من عواصم العالم ، وقد شهدته جمهرة كبيرة من علماء مختلف الدول ، وعقدت تحت رعاية رئيس الجمهورية الإسبانية ، ولم يقتصر أعضاء المؤتمر على المنشآت العلمية والتاريخية المتعلقة بتاريخ الطب والجراحة منذ غابر الأزمان ، ولكن لجنة المؤتمر قامت بتنظيم معرض هام للمخطوطات والوثائق الطبية من أقدم العصور ، وكذلك لمرض الأدوات الطبية والجراحية التي كان يستعملها الأطباء في العصور القديمة والوسطى ، ومن ذلك صور ونماذج للأدوات الطبية والجراحية العربية نقلت من مخطوطات ترجع إلى القرن الرابع عشر ، وصور من مخطوطات موسى بن ميمون الطبية والفلسفية وهو الطبيب اليهودي الأندلسي الذي نبغ في القرن الثاني عشر ويعرف عند الافرنج باسم « ميمونيدس » ومجموعة من آثار اندريس لاجونا طبيب الإمبراطور شارل كان ، وأدوات طبية هندية ومصرية ترجع إلى العصور الوسطى ، ونماذج تشريحية وغيرها ، وقد لفت الأنظار بنوع خاص نموذج معروض لحانوت سيدلى مسلم في قرطبة في القرن الثالث عشر ، ونموذج لمستشفى « سانتا كروز » القديم في طليطلة كما كان عليه في القرن السادس عشر



علم الدولة

للأستاذ أحمد وفيق

[لتناسبة صدور الجزء الثالث]

بقلم الدكتور محمد توفيق يونس

صدر حديثاً الجزء الثالث من الكتاب الضخم الذي يضعه الكاتب النابه الأستاذ أحمد وفيق في « علم الدولة » ، وهذا الجزء كتابيه من حيث طريقة البحث وسياق الحديث ، وإذا كان قد فاتنا أن نتحدث عن الجزأين الأول والثاني حين صدورهما فلا يفوتنا وقد صدر الجزء الثالث أن نتحدث عن الكتاب جملة

من العسير بل من المستحيل أن تكون « الدولة » بجميع مظاهرها وتطوراتها موضوعاً لبحث واحد جامع ، إذ أن لها وجوهاً مختلفة يتطلب كل منها بحثاً خاصاً ، فهناك الوجه الدستوري الذي يعني بهيئات الدولة العليا ، وهناك الوجه الإداري الذي ينظر إلى التفاصيل التنفيذية للحياة العامة ، أو بمعنى آخر إلى مجموع المصالح العامة التي تكفل سير الدولة العملي ، وهناك الوجه المالي الذي يبحث في إيرادات الدولة وتنفقاتها ، ثم هناك دراسة الدولة من ناحية القانون الدولي ، إلام باعتبارها من أشخاصه ويصنفها عضواً في الأسرة الدولية ، إلخ

ولكل دراسة من هاته الدراسات ناحيتان أساسيتان : ناحيتها القانونية وناحيته السياسية ، وأهمية الاستئناس بالأخيرة في تحليل المسائل النقيمية لا تحتاج إلى بيان . وإذا أضفنا إلى كل ذلك نصيب التاريخ تبين لنا أي دائرة واسعة من المعارف يمكن أن تدخل تحت هذا الموضوع

ولكن المؤلف القاضل وإن كان قد سمى كتابه « علم الدولة »

لم يقصد لإدراسة فكرة الدولة أو نظرية الدولة كما أوضح ذلك في مقدمة الجزء الأول (ص ٤٧ - ٤٩)

لهذا كان أجمل به أن يحمل عنوان الكتاب أكثر تحديداً لما فيه بأن يسميه مثلاً « فكرة الدولة » أو « نظرية الدولة » أو « في علم الدولة » إذا لم يرد تحديداً دقيقاً

على أن الموضوع الذي فرضه المؤلف على نفسه يبقى بعد هذا التحديد فسيح الأطراف متشعب النواحي متعدد الوجوه إلى حد يجعل من الصعب استيعابها جميعاً ودراستها معاً دراسة مستفيضة ، ويضطر المؤلف إلى الإيجاز وإهمال التفاصيل ، ويختص معه ضعف الارتباط وتشتت البحث وتوزع الجهود . والمؤلف نفسه يكتفي في الواقع « بدراسة عامة إجمالية » (ص ٤٧ من الجزء الأول) ولقد صيغ المؤلف هذه الدراسة بالصيغة التاريخية فجعل التاريخ العنصر الغالب في أجزاء كتابه الثلاثة بل قوامها جميعاً . وموجز بسيط للموضوعات التي تناولها المؤلف تساعد على إدراك ما قدمنا

قسم المؤلف الجزء الأول من كتابه إلى ثلاثة أبواب خصص الباب الأول منها بأصول الدولة ، فتكلم في الفصل الأول عن ضرورة البحث في هذا الموضوع ، وقدم لذلك مثلين هما : فرض الضرائب على الأجانب والنظام الفاشي . ثم انتقل إلى الكلام في الفصول التالية عن مختلف النظريات التي تناولته طارحاً ناقداً عللاً ، فتكلم في الفصل الثاني عن نظرية الطبيعة ، وفي الثالث عن الأسرة ، وفي الرابع عن العقد الاجتماعي ، وفي الخامس عن القوة ، وفي السادس عن الأداة الفردية ، وبعد أن انتهى المؤلف من الكلام على أصول الدولة في الباب الأول أخذ يتكلم في البابين الثاني والثالث عن التطور التاريخي لفكرة الدولة ، فتناول في الباب الثاني الأفكار القديمة من الدولة مستمراً إليها في المهند وقارس والصين ومصر ، وعند اليهود واليونان

بعض العلماء في سلب الكتاب ، فهو كثيراً ما يكتب بالإشارة إلى اسم المؤلف ورقم الصفحة دون ذكر لعدد الطبعة ، وقد تكون الطبعة التي يرجع إليها القارى غير الطبعة التي كانت في يد الكاتب ، والصفحات تتغير في مختلف الطبعات ، بل هو أحياناً لا يذكر الصفحة التي نقل عنها فيصعب على القارى الرجوع إلى العبارة المنقولة والتثبت منها

وجلة الرأى في الكتاب أنه لم يوجه وجهة علمية صرفة ، بل قصد منه التشقيف والتهديب ، وأنه من هذه الناحية ، أى ناحية الثقافة العامة عمل ضخم نعين ، أدى به مؤلفه الكريم إلى قراء العربية خدمة جليلة ، كلفته جهوداً مضنية من الطاقة والوقت ، فمن حقه أن يقابل بالشكر الوافر والتعظيم والصحيح ما محمد توفيق بونس

الفَرْقُوقُ اللَّغَوِيَّةُ

يسط فيه مؤلفه « الامام أبو هلال المكارى » الفروق الدقيقة بين الكلمات التي يظن أنها مترادفة كالعلم والسنة ، والفطنة والذكاء ، والتقديم والتميز ، والصحيح والصواب ، والخطأ والغلط ، والنام والباقي ، والتأليف والتصنيف ، والمثل والشبه ، والمديل والنظير ، والجنس والنوع والصنف .. الخ وهو مرتب على ثلاثين باباً في ٢٦٤ صفحة — ثمة عشرة قروش

نعيين كذب المقرئ فيما نسب الى الامام الأشعري
« لابن عاكر »

فيه مفصل حياة الامام الأشعري ؛ وتأثيره في عصره ، ونحو مائة ترجمة لكبار أصحابه من نظار ومفسرين ، وفقهاء وعلماء ، وأدياء ومؤرخين ، وعباد ومتصوفين . مع تاريخ الفرق الاسلامية — ٤٦٠ صفحة مع الفهارس المتنوعة ثمة ١٦ بطلان من مكتبة القدس وباب الحان بحارة الجداوى بحرب سعاده بالذاهرة

تمهيد

شاب يدعى أحمد تركى يزعم الناس أن له صلة بمكتب اعلانات الرسالة ، والرسالة تعلن أن ليس لهؤلاء الرجل بأى عمل من أعمالها صلة

والرومان ، وتناول في الباب الثالث فكرة الدولة في القرون الوسطى وفي عهده الأحياء والاصلاح
وفي الجزء الثانى من الكتاب تابع المؤلف بحثه في التطور التاريخى لفكرة الدولة ؛ فتكلم عنها من عهد الاصلاح الذى ختم به الجزء الأول حتى سقوط نابليون النهائى بعد أن عرج في طريقه على الدستور البريطانى ، فشرح أطواره منذ نشأته حتى نهاية القرن الثامن عشر

واستمر هذا البحث التاريخى في الجزء الثالث ، إذ تناول المؤلف أطوار فكرة الدولة ابتداء من سقوط نابليون حتى اليوم — تناولها من ثلاث نواح في ثلاثة أبواب ؛ خص الباب الأول منها بتطور فكرة الدولة من ناحية سياجها الخارجى ، أو بعبارة أخرى من ناحية القانون الدولى ، وخص الباب الثانى بأهم أطوار المنصر التاريخى للدولة عارضاً لمختلف الحركات الشعبية منذ سنة ١٨١٥ ، أى بعد سقوط نابليون النهائى ، وخص الباب الثالث بأهم أطوار المنصر القانونى للدولة منذ ذلك الحين كذلك واصلاً ما انقطع في نهاية الجزء الثانى من الكلام عن الحركة الدستورية والنظام البرلمانى في فرنسا ، خاتماً إياه بكلمة وجيزة عن بعض المبادئ الدستورية الحديثة

والحق أن المؤلف الفاضل — مع ما سبق أن قدمنا — قد عالج هذه الأبواب التي تناولها في أجزاء كتابه الثلاثة معالجة الملم بموضوعه ، الراسع الاطلاع ، الدقيق الملاحظة ، القوى المبادرة ، الجزل الأسلوب

على أننا مع الثناء الخالص على المؤلف والتقدير العظيم للكتاب نأخذ على الأستاذ أنه لم يبين في صدر الكتاب مناج بحثه ، وتقسيم عمله ، وتسلسل موضوعه ، البيان الكافى الذى يثير أمام القارى السبيل إلى الناية

كذلك نأخذ عليه عدم ذكره المراجع كاملة في التبت الذى ذيل به كل جزء من أجزاء كتابه فلم يذكر أمام كل كتاب بعد اسم المؤلف والعنوان الكامل لكتابه الجزء الخاص بالموضوع إذا كان للكتاب عدة أجزاء ، وعدد الطبعة إذا كان له أكثر من طبعة ، والمدينة والسنة التى طبع فيها . في هذه البيانات ما يساعد على البحث والاستقصاء

كما أنه أهمل هذه البيانات عند ما كان ينقل أو يوجز أقوال